# تاريخ الأدب السرياني

## من نشأته الى الفتح الإسلامي

بقلم


دكتور مراد كامل
الأستاذ المساعد للغات السامية
معهد اللغات الشرقية
جامعة فؤاد الاول

دكتور محمد حمدي البكري
مدرس اللغات السامية
معهد اللغات الشرقية
جامعة فؤاد الاول



طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٩

# ﴿ ترجمة الكتاب المقدس ﴾

## الترجمة البسيطة

﴿ ترجمة العهد القديم ﴾ : ليست لدينا معلومات وثيقة عن الترجمة السريانية للعهد القديم، ولا عن أصلها ، بل إن تيودور المفزوستي نفسه ( المتوفى سنة ٤٢٨ م ) لم يكن يعرف مَن ترجمها ولا أين تُرجمت . ولكننا نستطيع أن نتبين معالم هذا الموضوع من ثنايا ما ورد في كتب التاريخ ، فقد رأينا كيف دخلت الديانة اليهودية الى مملكة حذيّب وأنها كانت ذات أثر كبير فيها بعد اعتناق ملوكها لهذا الدين . هذا الأثر يكفي لكي نفترض أن هؤلاء اليهود وبخاصة أعضاء الأسرة المالكة وأشراف الدولة كانوا في حاجة الى نسخة من الكتاب المقدس في لغة يستطيعون فهمها ، وكانت اللغة المستعملة في حذيّب هي السريانية . والأمر الذي لا شك فيه أن يهود بيت المقدس كانت عندهم ترجمة باللهجة الآرامية لأسفار موسى الخمسة على الأقل ، والراجح أيضاً أن نسخة من هذه الترجمة قد وجدت طريقها الى حذيّب أيام هؤلاء الملوك اليهود ، وأنها تُرجمت الى لهجة حذيّب وكتبت بالأبجدية السريانية . فالمعروف أنه كان في حذيّب جماعة من اليهود الذين هاجروا اليها من فلسطين واستقرّوا فيها سنوات ، وكانوا من غير شك قادرين على القيام بمهمة الترجمة في غير مشقة .

ومهما يكن من أمر هذه الترجمة فقد وصلنا — الى جانب النص الذي تمثله أغلب المخطوطات التي يرجع تاريخ كتابة بعضها الى القرن السادس — نصٌّ آخر يشتمل على سفري التكوين والخروج في مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني يرجع تاريخه الى سنة ٤٦٤ م . وهو أقدم مخطوط مؤرخ للكتاب المقدس عرف حتى اليوم ، وهو يتفق مع النص العبري بوجه عام . و[illegible] أن « فرهاد » و « أفرام » وهما من كتاب القرن الرابع قد استخدما فيما كتباه عن الكتاب المقدس نصّاً مقارباً لهذا النص .

[illegible] الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم هي التي أخذتها الكنيسة المسيحية ، فأتمّتها وحسّنت أسلوبها ، واتخذت من هذا النص الموسّع نموذجاً مثالياً نُقلت عنه

أكثر مخطوطات العهد القديم وهي المعروفة بالترجمة البسيطة ( پشيطتا ) .

﴿ ترجمة العهد الجديد ﴾ : رأينا أن المبشرين المسيحيين قد استقروا في بلاد أشور قبيل نهاية القرن الأول ، وأن المسيحية قد انتشرت في حدياب ومنها الى جانبي نهر الدجلة حتى نيسفت الأبرشيات التي كانت هناك على العشرين في وقت قصير . فأي نصوص العهد الجديد كانت تستعملها هذه الجاليات المسيحية ؟

هناك نظريتان : أما أصحاب النظرية الأولى فيرون أن طاطيان لما عاد من روما رأى أن المسيحيين محتاجون الى نص سرياني للكتاب المقدس فوضع كتابه الدياطسرون أي مضمون الأناجيل الأربعة . ولكن هذا الكتاب لم يعجب رجال الكنيسة فيما بعد ، فترجموا الأناجيل من اليونانية الى السريانية ترجمة كاملة .

وأما أصحاب الرأي الثاني فيرون أن المسيحيين في حدياب كانت لديهم ترجمة سريانية كاملة للأناجيل الى جانب الترجمة السريانية التي كانت عندهم للعهد القديم والتي ورثوها عن العصر اليهودي الذي أظل بلادهم حيناً . ويرى أصحاب هذا الرأي أن طاطيان نفسه قد استخدم هذه الترجمة السريانية القديمة للأناجيل في تصليف كتابه « الدياطسرون » .

أما أصحاب النظرية الأولى فيرون أن كنيسة روما لم تكن تنظر الى الدياطسرون بعين الرضا لأنه من عمل مهرطق ، ولهذا فإنه من المحتمل أن يكون ذلك قد شجع الأسقف « رابولا » على وضع ترجمة سريانية كاملة للأناجيل عن النص اليوناني كما كان يُقرأ في أنطاكية سنة ٤٠٠ م . مستعيناً بالدياطسرون الذي تعوّد عليه السريان . ومن هنا دخلت بعض القراءات الغربية في الترجمة ، وأن هذه الترجمة لا يمكن أن ترجع الى ما قبل النصف الأول من القرن الثالث . ولكن على الرغم من مجهود هذا الأسقف فإن الترجمة الجديدة لم يكن لها أي تأثير لأن الدياطسرون بقي كما هو إنجيل الكنيسة السريانية في القرون التالية .

وأما أصحاب النظرية الثانية فيرون أن جميع الأناجيل تشتمل حقيقةً على قراءات من القراءات الغربية ، وبخاصة في أجزاء من الأناجيل وأعمال الرسل مكتوبة على ورق البردي ، كشف عنها منذ عهد قريب في مصر ، ويُرجع الباحثون تاريخها الى النصف الأول من القرن الثالث . ولكن اتضح لهم أن هذه القراءات التي سُميت خطأً « قراءات غربية »

لا تمت بصلة الى النص اللاتيني في كنيسة روما ولا الى النص السرياني . وافترضوا أنه كانت هناك نصوص قديمة مشابهة للنص البردي ـ الذي يشتمل على الكثير مما يسمى بالقراءات الغربية ـ في الشرق بوجه عام لا في مصر وحدها ، ولم يبق إلا النص المصري حيث ساعدت الظروف على المحافظة عليه . وأثبتوا أن هذه القراءات كلها راجعة لاختلافات في قراءة نص آرامي أساسي أو في ترجمته ، ولا يمكن أن يكون أساسها الديالطسّرون ولكنه النص اليوناني الذي كان أساس الترجمة السريانية . ويرى أصحاب هذا الرأي أن الترجمة السريانية للعهد الجديد التي اشتملت عليها مخطوطة[1] مشهورة في دير طورسينا (سنتحدث عنها فيما بعد) تمثل نصاً يونانياً هو الأثر الوحيد الباقي له لأنه يحتفظ بقراءات أولية لا يمكن أن تتفق والعقيدة المسيحية الناشئة ، وقد أصلح النص بعد ذلك ليساير العقيدة المسيحية . وانتهى أصحاب هذا الرأي الى أن أقدم التراجم السريانية يجب أن يؤرخ بمطلع القرن الثاني . لأنه ليس من المعقول مطلقاً أن كنيسة انطاكية كانت تستعمل سنة ٢٠٠ م نصاً يونانياً فيه مثل هذه القراءات ، وأن النص السينائي هو ترجمة عدد من الأيدي المختلفة لأن كلمة يونانية بعينها مثلاً تترجم الى السريانية في الأناجيل المختلفة بكلمات سريانية مختلفة .

ونستطيع إذاً أن نقول إن أقدم ترجمة سريانية كاملة للأناجيل قد وضعت قبل تأليف الديالطسّرون ، ولكن لم تصل الينا ترجمة مؤرخة ترجع الى ذلك العهد ، وأقدم ما وصل الينا من نصوص الترجمة السريانية للأناجيل مخطوطتان : إحداها المخطوطة الكيوريتانية (نسبة الى وليم كيوريتون المستشرق الانجليزي) ويُرجَّح أنها كُتبت في القرن الخامس . والثانية مخطوطة دير طورسينا التي أشرنا اليه ، وتشتمل الكتابة الظاهرة فيها على قصص لتقديسيين كتبها الراهب يوحنا في دير « مَعَرَّة مصرين » بين انطاكيا وحلب ، وفرغ من كتابتها سنة ١٠٩٠ يونانية (أي ٧٧٨ م .) وربما كانت الكتابة المحوّة قد كتبت حوالي القرن الرابع .

وتختلف كل من هاتين المخطوطتين عن الأخرى الى حدّ يُظَنّ معه أنهما ترجمتان

---

(١) تسمية تقترح للكلمة Palimpsest وهي كتابة دونت على الجلد أو الرق ثم محيت وكتب مكانها كتابة أخرى ، ولكن الكتابة المحوة غير محوة تماماً ولذا تمكن العلماء حديثاً من إظهارها وقراءتها بطريقة خاصة

مختلفتان ، والواقع أن أصلهما ترجمة قديمة للعهد الجديد وكان هذا الأصل القديم معرضاً للتغيير والتصحيح على أيدي النساخ الذين كانوا يبذلون جهدهم في تصحيح نصه ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . وربما كانوا قد أصلحوا الترجمة على نصوص يونانية كانت تحت أيديهم . وكل ما في المخطوطتين يدل على أن المترجم كان يستعمل اللغة السريانية في سهولة تدل على مران أدبي طويل ، ومع ذلك فإن المخطوطة السينائية تشتمل على آثار من نطق الآرامية الفلسطينية وإملائها ، مما يدل على أن مترجمي أناجيل هذه النسخة كانوا من يهود فلسطين مولداً وتعليماً ، ولكنهم اعتنقوا المسيحية ، وأقاموا في أرض سريانية حتى خضعت لهم اللغة السريانية ، ولكن ألسنتهم مع ذلك لم تخلُ من لكنة آرامية فلسطينية تكفي لإظهار نفسها بطريقة ما في كتاباتهم . والراجح أن النص الكيورتاني إنما هو مراجعة للنص السينائي مع إصلاح الأسلوب السرياني وإزالة ما فيه من العنصر الفلسطيني .

هذا الوصف للإقليم الذي تمت فيه الترجمة ، والأفراد الذين قاموا بها ينطبق على الحالة التي كانت في حذيب في ذلك الحين كما رأينا ، يؤكد ذلك أن الجالية المسيحية في حذيب كان عندها ترجمة سريانية للعهد القديم ورثتها عن العصر اليهودي الذي مر بها . وترجمة العهد القديم هذه ضرورية للأداء الصحيح لأسماء الأعلام العبرية في العهد الجديد ، وهذا الأداء لا يمكن استيفاؤه من النص اليوناني وحده ، ولكنه شيء يسير على اليهود الذين اعتنقوا المسيحية وأقاموا فترة في حذيب .

ولذلك فالراجح أن تكون هذه الترجمة القديمة للعهد الجديد قد تمت في حذيب بعد بعثة «أدّي» الى هناك .

﴿ الدياطسرون ﴾ الدياطسرون هو الاسم اليوناني لكتاب مضمون الأناجيل الأربعة الذي وضعه طاطيان بالسريانية ، ومعناه «على الأربعة» ، وكان السريان يسمونه أيضاً «الانجيل المختلط» تمييزاً له عن الأناجيل المتفرقة ، وسمي في الترجمة العربية « الرباعي » . وقد جمع طاطيان فيه سيرة المسيح وأعماله من الأناجيل المتفرقة فأخذ من المكرر في الأناجيل صورة واحدة ، وقيد فيه ما انفرد به كل انجيل من الأناجيل الأربعة مراعياً النص الأصلي ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

أما موطنه طاطيان فهو أشوري كما كان يطلق على نفسه، أي إنه جاء من بلاد أشور وهي البلاد الواقعة بين الدجلة وبين ميديا من الجبال الأرمنية حتى المدائن وقد عرفنا مما سبق أن حذيّب الواقعة شرقي الدجلة قد أصبحت جزءً من الإقليم الروماني لبلاد أشور بعد حرب تراجان سنة ١١٦ م . ولهذا فنحن نرجح أنه وُلد في حذيّب سنة ١١٠ م . ولكننا لا نعرف ذلك على التحقيق .

وُلد طاطيان في أحضان أسرة نبيلة غنية تدين بالوثنية ، وكانت لغة أمه السريانية وهي اللغة التي كان يتكلمها أهل أشور في ذلك الحين ، وتلقى دراسة عالية في الآداب والفلسفة ، وأُغرم منذ صباه بالمسائل الدينية ، وكان رجلاً موهوباً ، فأراد التبحر في العلم ، ورحل في سبيل ذلك الى بلاد الغرب ، ودرس حضارة اليونان وفلسفتهم ولكنه لم يُعجَب باليونان وكان يتبرأ منهم ويسمي نفسه « بربريًا » (أي غير يوناني) ويبدو من كتابه Graecos جريكوس الذي ألَّفه باليونانية ، أنه فخور بأنه غير يوناني .

أقام طاطيان مدة في بلاد اليونان ، ثم انتقل منها إلى روما ، وكان يتردّد على المراكز الثقافية الكبيرة فيها ، واتصل بجوستين ودرس عليه ، والراجح أنه اعتنق المسيحية بتأثير جوستين وتسمى باسم طاطيان. ولما مات جوستين خلفه طاطيان في تعاليمه وتخرَّج على يديه عدد من التلاميذ منهم رودون من آسيا الصغرى، وكليمانس الاسكندري ، ونرميس المقدسي . ولكنه — فيما تقول بعض الروايات — أعلن بعض الآراء الخارجة على تعاليم الكنيسة ، فأثار اضطراباً في روما ، اضطرّ من أجله — فيما يقول ايفانيوس — الى الرحيل الى الشرق حوالي سنة ١٧٢ م . وليس لدينا شيء يقيني عن حياته بعد ذلك . ولكن الراجح أنه عاد الى وطنه في بلاد أشور واستقرّ هناك . أما إنه جاء الى الرُّها فهذا مجرّد حدس من الباحثين المحدثين لأنهم يعتقدون أن الرُّها هي المركز الأدبي للسريانية، ولكن المحقق أن اسمه لم يرد مطلقاً في تاريخ الرُّها كما ذكرنا ، ولم نسمع قط أنه اتصل برجل مثل ابن ديصان. وأنه بدأ عقب عودته الى الشرق في وضع كتابه «مضمون الأناجيل الأربعة» عن الترجمة السريانية القديمة للأناجيل الأربعة كما أثبتنا ذلك .

أما الاختلافات الموجودة بين الدياطسّرون والترجمة السريانية القديمة للأناجيل

الأربعة فلا يمكن تفسيرها بأن طاطيان ربما كان قد اعتمد على مخطوطات يونانية الى جانب الأناجيل السريانية التي كانت تحت يديه ، وإنما تدل على أن النص السرياني الذي استخدمه طاطيان يختلف من بعض النواحي عن نص المخطوط السينائي .

ولا يمكن تعليل عدم وجود أي أثر للدياطسّرون في الغرب إلا بأنه وُضع على أساس ترجمة سريانية قديمة للأناجيل ، إذ من المدهش حقّاً أن عالماً مثل أوريجانس (المتوفى سنة ٢٥٤ م .) كرّس نقد النصوص ، لا يذكره مرة واحدة ، بل ولا يُحتمل أنه عرف عنوانه ، مع أننا على يقين أنه مطلع على كتابات طاطيان ، وكذلك نعرف أن كليمانس الاسكندري (المتوفى حوالي سنة ٢٢٥ م .) كان تلميذاً لطاطيان في روما ويعرف عدداً من الكتب التي ألفها أستاذه وهو ينتقد عقيدته كثيراً ، ولكنه لا يعرف شيئاً عن الدياطسّرون ، بل إن إرنيوس Irenaeus ( المتوفى حوالي سنة ٢٠٢ م .) وهو أول مؤلف يصف طاطيان بأنه مهرطق لم يذكر شيئاً عن الدياطسّرون .

ومع أن أوسابيوس ( المتوفى حوالي سنة ٣٤٠ م .) كان أول من أشار الى الدياطسّرون في الجزء الرابع من كتابه تاريخ الكنيسة إلا أننا نستطيع أن نستنتج من الاختلاف بين النص اليوناني والترجمة السريانية لهذا التاريخ أن أوسابيوس لم يرَ من الدياطسّرون شيئاً . في النص اليوناني : « وقد أحضر طاطيان أولُ رئيس للهراطقة مزيجاً ومجموعاً للأناجيل وسمّاه الدياطسّرون ، ويقال إنه لا يزال في أيدي بعض الناس » وأما الترجمة السريانية فقد جاء فيها « هذا الطاطيان أول رئيس للهراطقة جمع ومزج وصل إنجيلاً سمّاه دياطسّرون ، أي المختلط وهو الذي لا يزال في أيدي كثير من الناس إلى اليوم » .

وكذلك ايفانيوس ( المتوفى سنة ٤٠٣ م .) فقد ذكر أنه « يقال إن طاطيان هو الذي ألف الإنجيل الذي يسميه بعض الناس الدياطسّرون » ويورد « جيروم » (المتوفى سنة ٤٢٠ م .) قائمة طويلة للكتب التي ألفها طاطيان ولكنه لا يذكر الدياطسّرون .

وقبل ست عشرة سنة مضت لم يكن يعرف عن الدياطسّرون باليونانية شيء حتى كُشف في دورا أوروپوس Dura-Europos على نهر الفرات ، عن ورقة من الرق تشتمل على أربعة

عشر سطراً من الانجيل المختلط باللغة اليونانية يُرجع الباحثون تاريخها الى القرن الثالث لأن الكنيسة التي اكتشفت بجوارها ترجع الى سنة ٢٢٣ م وهذه القطعة تُظهر بوضوح أن إنجيلاً مختلطاً باليونانية كان مستعملاً في عصر مسيحي مبكر. وتشتمل هذه القطعة على بعض قراءات لا توجد في أي مخطوطة أخرى للأناجيل عرفت حتى الآن. ومع ذلك فانه لا يمكن أن يقوم أيُّ شك في أن هذا النص اليوناني مترجم عن أصل سرياني. والدليل على ذلك أن المترجم قرأ اسم المكان الذي جاء منه يوسف في إنجيل متى (٢٧ : ٥٧) وهو الرامة (ا ر ن م ت ي ا) خطأً وصوابهُ (ا ر ي م ت ي ا) وهذا لا يمكن إلاَّ اذا كان يترجم عن أصل سرياني لأن الياء والنون متقاربتان في الخط السرياني بحيث يسهل الخلط بينهما. وفي بلدة دورا هذه كانت تلتقي الثقافتان السريانية واليونانية. وكان المسيحيون فيها يقرأون الدياطَسَّرون السرياني في كنائسهم وتُرجم النص الى اليونانية من غير شك من أجل المسيحيين الذين كانوا يتكلمون اليونانية هناك.

وقد لقي الدياطَسَّرون نجاحاً عظيماً. فقد تغلب عند السريان على الترجمة السريانية القديمة للأناجيل، وأصبح هو الانجيل المستعمل في الكنيسة في الطقوس، وبقي مستعملاً رغم قيام تراجم سريانية كاملة أخرى للأناجيل. وتدل الوثائق المانوية القبطية التي اكتشفت حديثاً في مصر على أن الانجيل الذي اقتبس منه مانى وتلاميذه هو الدياطَسَّرون وكانت اللغة التي يستعملها مانى هي السريانية.

ومع أن رَبُولا أسقف الرُّها فيما بين سنتي ٤١٢ و٤٣٥ م. قد قام بترجمة الأناجيل ترجمة بسيطة جديدة من اليونانية. ثم أصدر أمره الى القس والشمامسة بوجوب وجود كتاب يشتمل على الأناجيل المتفرقة في كل كنيسة وأن تكون القراءة في الصلاة من هذا الانجيل وحده، ومع أنه نجح في الحد من استعمال الدياطسرون في الرُّها، وحذا حذوه بعض الأساقفة فأعدم أسقفٌ آخر نحواً من مائتي نسخة منه في أبرشيته، فقد بقي الدياطسرون مدة قرون دون أن تستطيع التراجم السريانية الكاملة للأناجيل التي عملت بعد ذلك أن تحلَّ محله، وربما كان قيام رجل حجة مثل أفريم بوضع شرح له هو الذي ساعد على حفظه. وهذا الشرح موجود حتى اليوم في ترجمة أرمنية.

وقد بقي الدياطسّرون السرياني مستعملاً حتى القرن التاسع ولكنه ضاع بعد ذلك ولم يبق لنا منه إلاّ ترجمة عربية وضعت فيما يظهر في القرن الحادي عشر ونتصف الى أبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٨ م . ويقال إن هذه الترجمة قد نقلت عن نسخة سريانية عملت في القرن التاسع ، وقد ظلّ كثير من كتّاب السريان يشيرون الى الدياطسرون حتى القرن الرابع عشر نذكر منهم :

يشوع كذ المروزي النسطوري أسقف حديثة (منتصف القرن التاسع) وموسى بركيفا الأسقف اليعقوبي ( المتوفى ٩٠٣ م . ) . ويشوع برعلي ( المتوفى ٨٧٣ م.) وبرهلول (منتصف القرن العاشر) في قاموسيهما ، وابن الصليبي أسقف آمد اليعقوبي (المتوفى ١١٧١م) وابن العبري ( المتوفى ١٢٨٦م . ) وأوديشوع مطران نصيبين ( المتوفى ١٣١٨ م . ) .

ونكتفي هنا بإيراد ما ذكره ابن الصليبي في مقدمة شرحه لإنجيل مرقس عن الدياطسرون

« وقد اختار طاطيان تلميذ جوستين الشهيد الفيلسوف من الأناجيل الأربعة وجمع وكوّن إنجيلاً سماه الدياطسرون أي المختلط ، وهذا هو نفس الكتاب الذي شرحه مار أفريم » .

والأمثلة القليلة التي نوردها تصور لك كيفية تصنيف هذا الكتاب : في الاصحاح الخامس من الدياطسرون : ولما تمم المغتاب جميع تجاربه انفصل عنه الى وقت (لوقا ٤ : ١٣) ، وإذا الملائكة قد دنت وكانت تخدمه : ( متى ٤ : ١١) ، وفي اليوم الآخر كان يوحنا قائماً وتلميذان من تلاميذه ونصر بيسوع وهو يمشي فقال : هذا حمل الله (يوحنا ١ : ٣٥—٣٦) .

ومن الاصحاح السابع من الدياطسّرون : وسبحوا الله الذي منح مثل هذا السلطان الناس : (متى ٩ : ٨ ) ، وقالوا لقد أبصرنا يومنا العجائب : (لوقا ٥ : ٢٦) ، التي ما أبصرنا مثلها منذ قط : ( مرقس ٢ : ١٢ )

ومن الاصحاح الحادي عشر من الدياطسرون : وقال لهم في ذلك اليوم عند العشية : (مرقس ٤ : ٣٥) ، لنعبر الى عبر البحيرة : ( لوقا ٨ : ٢٢) ، وترك الجموع : ( مرقس ٤ : ٣٦ ) وصعد إيسوع وجلس في السفينة هو وتلاميذه : (لوقا ٨ : ٢٢) ، وكانت معهم سفن أخر ( مرقس ٤ : ٣٦ ) ، وحدث في البحر حركة عظيمة : ( متى ٨ : ٢٤ ) ، من زوبعة وريح : ( مرقس ٤ : ٣٧ ) ، وكادت السفينة أن تغرق : ( لوقا ٨ : ٢٣ ) .

# كُتَّاب السريان

## في القرن الثاني

كانت ترجمة الكتاب المقدَّس الى السريانية هي أول عمل أدبي بقي لنا من آثار المسيحية السريانية ، وكان من الطبيعي أن يقوم الى جانب هذا العمل نشاط أدبي آخر ، كان بعضه مسايراً لتعاليم الكنيسة فكتب له البقاء ، وكان البعض الآخر من نوع لا ينسجم مع تلك التعاليم ولذلك حالت الكنيسة بينه وبين البقاء ، فلم يصل إلينا منه شيء .

### ﴿ مليطون السرديسي ﴾

ومن كُتَّاب القرن الثاني مليطون ويُلقَّب في الرسالة التي بقيت لنا من كتاباته بالفيلسوف ، وكان من أبرع الكتَّاب القدماء الذين ينتمون الى كنيسة آسيا الصغرى . وليست لدينا معلومات تاريخية عن حياته إلاَّ ما جاء عرَضاً في رسالة بوليكراط الأفيزوسي الى البابا ڤيكتور ( ١٨٩ — ١٩٩ م . ) من أن مليطون قد توفي .

ومن كتاباته رسالة في الدفاع عن الدين الصحيح ضد تعدُّد الآلهة وعبادة الأصنام والآراء غير الصحيحة المنسوبة الى المجوس ، وقد نشرها المستشرق الانجليزي كيوريتون في كتابه Spicilegium Syriacum واقتطف أوسابيوس في تاريخه قطعة من رسالة بعث بها مليطون الى مارك اطونينوس في الدفاع عن المسيحيين المضطهدين ، وكان المظنون أولاً أن هذه الرسالة هي نفس الرسالة الأولى التي بقيت لنا من كتابات مليطون ، ولكن هذه الرسالة لا تشتمل على القطعة التي اقتطفها أوسابيوس . وربما كان هذا راجعاً الى أن الرسالة ناقصة في بعض نواحيها ، أو أن أوسابيوس نقل عن رسالة أخرى غير الرسالة الأولى ولم يرَ غيرها ، وهو يخبرنا صراحةً أنه لم يورد تفصيلاً لكتابات كلٍّ من مليطون وأبوليناريس ولكنه يذكر عنهما كل ما أحاط به علماً فقط . وعلى ذلك فالراجح أن مليطون قد كتب رسالتين نشرت إحداهما كاملة ، واقتبس أوسابيوس مقتطفات من الثانية .

### ﴿ ابن ديصان ﴾

ورأينا أن الرُّها لم تلعب أي دور رئيسي في تاريخ الأدب السرياني حتى أواخر القرن الثاني ، وأن عذَيْب هي التي قامت بالعبء كله في هذه الفترة ، فلما ظهر ابن ديصان بدأت

الرُّها تأخذ مكانها في الأدب السرياني وتضاءل شأن حديَّب شيئاً فشيئاً ، فقد كان ابن ديصان ذا أهمية كبيرة للرُّها وأصبحت بفضله مركز المسيحية الشرقية ، فقد كان الكاتب السرياني الفذ والشاعر الموهوب الذي تغنى السريان بشعره .

أما أبوه فهو نوهاما ، وأما أمه فهي نحشيرام ، تركا إربل عاصمة حديَّب حوالي سنة ١٤٤ م ، فوصلا الرُّها في عهد الملك معن الثامن (١٣٩ — ١٦٣ م .) وفي الرُّها وبالقرب من نهر ديصان الذي يروي هذه المدينة رزقا ولداً سنة ١٥٤ م . فسمياه « ابن ديصان » نسبةً الى النهر . وتعلّم في البلاط الملكي مع أبجر ابن الملك معن تعليماً راقياً باللغتين السريانية واليونانية ، وقضيا معاً عهد الصبا . وبقي ابن ديصان بالرُّها حتى سنة ١٦٣ م حين خُلع الملك معن الثامن وارتقى العرش مكانه الملك وائل ، فخرج مع أبويه من الرُّها — وكانا على دين الوثنية — الى منبج ، وكانت الى ذلك الحين مركزاً لعبادة الكواكب ، وأقاموا هناك عند رجل اسمه كودوز ، وتتلمذ ابن ديصان على الكاهن الأكبر لمعبد منبج ، ومنه تعلّم العلوم الوثنية المتصلة بعبادة الكواكب والنجوم ، ويقال إنه علمه نظم الشعر الذي ينشد في الطقوس الوثنية . والظاهر أن أبويه ماتا في منبج فتبناه كودوز ، وشجعه على دراسة الفلك والتنجيم ، فنبغ فيهما في وقت قصير ، ويقال أيضاً إنه كان — الى جانب نبوغه العلمي — من أمهر الرُّماة .

ولما تولى أبجر التاسع رفيقه في الصبا عرش الرُّها سنة ١٧٩ م ، عاد الى الرُّها ، وفيها لقي بعض من اعتنقوا المسيحية ، فشرحوا له أسرار الدين الجديد ، ويقال إنه اعتنق المسيحية على أيدي « هستس » الذي كان أسقف الرُّها في ذلك الحين ، ولكنه لم ير في اعتناقه للدين الجديد سبباً يصرفه عن العناية بدراسة الفلك والعلوم الدنيوية ، وأراد أن يطبق على المسيحية كل ما استفاده من علم ومعرفة ، ولكن رجال الكنيسة السريانية شوّهوا جمال العمل الذي قام به هذا الرجل بعد وفاته .

وفي الرُّها أصبح ابن ديصان علمها الخفّاق ، فقد استعاد مكانه في البلاط الملكي ، وكان رئيساً لمدرسة الرُّها ، ويذكر بعض اليونانيين أنهم زاروا هذه المدرسة ورأوا هذا الشاب الذي كان يمثل الثقافة المسيحية خير تمثيل .

وترك ابن ديصان ثلاثة أولاد اشتهر منهم هرمونيوس لأنه كان يقرض الشعر كأبيه ، والآخران أبجر وحسادو . ويقال إنه رحل في أواخر أيامه الى جبال أرمينية واستقر بها حتى وافته منيته . ويذكر ابن العبري أنه مات وعمره ٦٨ سنة أي إنه مات سنة ٢٢٢ م .

وليس فيما وصل الينا من أقواله ما يجعل إخلاصه لعقيدته المسيحية موضع شك: فنحن نجد في كتاباته أنه يعتقد بإله واحد ، قوي لأن كل كائن محتاج اليه ، خلق العالم ، وهو عون كل موجود ، خلق العناصر الاساسية أولاً : وهي النار والهواء والماء والنور والظلمة وجعل لكل واحد من هؤلاء قسطاً معيناً من الحرية ، وهو يشغل حيزاً محدوداً وله طبيعة خاصة به ، فالظلمة مضرة وهي تخيم على الأرض حيث كانت لتختلط بالعناصر الطاهرة التي تدعو الله الى إغاثتها فيغيثها المسيح . وقد ترك الله الشر يعمل لأنه ... ، ولكنه سيكون فيما بعد عالم جديداً لا شر فيه. وأن الله خلق الملائكة وخصهم بإرادة مطلقة ، وخلق الانسان معادلاً الملائكة في الحرية ، وكونه من عقل ونفس وجسد ، وأن الجسد يتعرض للكوارث في الحياة أو الموت ، وفي السعادة والشقاء ، وفي الصحة والمرض . وأن الانسان حر يستطيع أن يعمل الخير وأن يتجنب الشر ، وهو دان ، وسوف يثاب أو يعاقب ... لأعماله ... سوف يكون هناك حساب في الآخرة وهو يعلن مثلاً أن معظم عقائد فالنتين ( والغنوصيين ) ليست إلا سخافات ، وكان معارضاً عنيداً لمرقيون وغيره من المراطنة ، وكتب كثيراً في الدفاع عن المسيحيين الذين وقع عليهم اضطهاد في بعض النواحي ... هذا الى جانب البراهين المادية : فقد أراد أبولونيوس أحد أصدقاء الامبراطور كركلا أن يغري ابن ديصان على إنكار مسيحيته ، ولكنه رفض بإباء ، وكان يقول إنه لا يخشى ... لأنه يتوقع أن يموت شهيداً . ونحن نقرأ له في كتاب قانون البلدان ... عن هذا الشعب الجديد المسيحيين ... في جميع البلدان ، وفي جميع الأماكن ... نحن جميعاً ... من الأرض ... نعرف باسم ... المسيح .

ولكن رجال الكنيسة ... قرأوا كتابات ابن ديصان ووصفوها بأنها نوع من الهرطقة وعملوا على صد المسيحيين عنها ، ولكننا لا نعلم من تفصيل هذا الصراع إلا القليل ، نحن

نرى أيّ جهد قام به رجل مثل إفريم لكي يَرُدّ عليه وعلى غيره من الهراطقة . ومع ذلك فهو لم يتناول آراء ابن ديصان ليرد عليها رأياً رأياً ، ولكنه كان يكتفي بالتقاط تعبير واحد من سياق كتابات ابن ديصان ، ثم يتناول الكاتب بسيل من التكفير [illegible] والعبارات الأخلاقية الحماسية ونستطيع أن نرى بوضوح في رد أفريم الى أي حالة وصلت الكنيسة في عصره ، فقد عجزت الكنيسة في ذلك الحين عن أن تحتمل روحاً كروح ابن ديصان ولا نقول أن تسايره وتجتذبه اليها . فقد كان كل ما عند ابن ديصان من وضوح الذهني وقوة إدراك الحقائق ، كان بالنسبة له سجناً ضيقاً بين جدران لاهوت ضيق ناشيء وبدلاً من أن ينير رجال هذا الدين أمامه سبيل الحقيقة عملوا جاهدين على تشويهها .

ولما كان ابن ديصان قد أثّر على المسيحيين بشعره الذي كانت العامة تحبه وتتغنى به ، فقد رأى افريم نفسه مضطراً الى معارضته بالشعر ، فبذل مجهوداً كبيراً في تأليف أناشيد يقضي بها على أناشيد ابن ديصان الشعبية . كما عمل على إعدام ما تصل إليه يده من كتبه ، وفي ذلك يروي صاحب « تاريخ النساطرة » أنه حكي في بعض الأخبار أن ابن ديصان قد وضع إنجيلاً مخالفاً ليستغوي به من في عقيدته استرخاء ، وفي قلبه زيغ ، فلما توفي ابن ديصان أراح الله البيعة منه ومن شره ، احتال مار افريم في أخذه [illegible] أن تدفع اليه ذلك الكتاب لينظر فيه ويردّه عليها ، فدفعت الكتاب اليه ، فلما أخذه عمد الى غراء مغلي فلطخه به ورقة ورقة ، وأطبقه وشدّه شداً جيداً حتى التصق ودفعه اليها .

ولكن لم يكن إفريم — مع ذلك — هو الذي حدّ من انتشار هرطقة ابن ديصان ، بل ان الذي نجح في ذلك كان رجلاً بعد عصر افريم بنصف قرن على الأقل ، ففي سيرة رابولا الذي كان أسقفاً للرها في أوائل القرن الخامس نجد وصفاً يوضح لنا نهاية هذه الهرطقة لقد أينعت تعاليم ابن ديصان الشريرة في الرها حتى أعدمها رابولا وهزمها ، لأنه قبل هذا الراعي كان ذئب ابن ديصان الماكر قد اجتذب اليه جميع [illegible] في المدينة بلذته وعذوبة أناشيده لكي يجمعهم بها ، كما يجذب [illegible] في الطعام الشهي ، لأن الأحمق قد ظن أنه بالخلط وقيادة [illegible] الى الضلال ، يستطيع أن [illegible] خطاياه قرية [illegible] من أصوات [illegible] السامعين الضعيفة . وقد [illegible] ذلك [illegible] الرجل

الحكيم ، فلم ينصب نفسه لكي يجتث الأعشاب الطفيلية من ذلك الحقل ، وأن يخلف وراءه سنابل القمح الكثيرة فقط — فان ذلك يكون سهلاً — ولكنه بحكمته نصب نفسه ليحوّل هذه الأعشاب الى قمح ، فان ذلك كان ضرورياً . فبدلاً من نفخ يوشع المزعج في البوق هو وأتباعه الذين نفخوا على أسوار أريحا حتى سقطوا ، وبدلاً من إفناء الرجال والاستيلاء على متاعهم للرب ، فان هذا القائد الحكيم من قوّاد المسيح — بقوة ربه وباكتساب المحبة والصوت الرقيق ، استطاع بسكون أن يحطّم كنيستهم ، وأن يحمل كنوزها وينقلها الى كنيسته ، حتى لقد استطاع أن يستخدم أحجارها أيضاً » .

وحاول رجال الكنيسة كذلك أن يشوّهوا اسمه ، وأن يتركوا ذكراه غامضة ، وأن يزجّوا به في طيّ النسيان ، فزعموا أنه كان يخلط بين المسيحية وبين ما كان الكاهن المنجي يلقنه ، وانه أبدع بدعة لم يتقدمه أحد فيها ، وأنه قال : إن الأنواع سبعة ، ثلاثة منها عظام شريفة ، وهي العقل والقوة والفكر ، والأربعة الأخرى دون ذلك ، وهي النار والماء والنور والريح . فتألفت هذه السبعة بعضها من بعض وكان منها متون وثلاثمائة عالم ، وان الانسان مخلوق من هذه الأصول السبعة أيضاً ، فجسمه من الثلاثة الشريفة وجسده من الأركان الأربعة الدنيئة . وقال إن دماغ الانسان من الشمس ، وعظامه من زحل ، وعروقه من عطارد ، ودمه من المريخ ، ولحمه من المشتري ، وشعره من زهرة ، وجلده من القمر . كما زعموا أنه أنكر قيامة الأجساد .

وكان ابن ديصان آخر الغنوصطيين من السريان ( أي العارفين بالله ) ألّف فرقة عرفت بالديصانية نسبةً اليه ، ويحدّثنا يعقوب الرهاوي أنه كان لهذه الفرقة أتباع حتى القرن الثامن ، كما يحدثنا ابن النديم أن أتباع هذه الفرقة كانوا بالبطائح بين واسط والبصرة في القرن العاشر ، وكان لها أتباع قبل ذلك في خراسان والصين وتركستان ذكرها ابن النديم في الفهرست ، والمسعودي في التنبيه والاشراف ، والشهرستاني في الملل والنحل . وقد زعموا أن أتباعه كانوا يقولون بإلهين : إله نور ، وإله ظلمة ، وانهم انقسموا الى فرقتين ، كانت إحداها تزعم أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج منها امتنع ذلك عليه . وزعمت الثانية أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحسّ بخشونتها

وثنيها ، شابكها بغير اختياره . ولعلّ هذه الآراء — إن صحت نسبتها اليهم — أن تكون قد دخلت اليهم من المانوية .

والأجزاء الباقية من كتابة ابن ديصان تدل على انه قرأ كثيراً ، وفكّر كثيراً ، وأنه تعلّم ليفكر بنفسه ، ولم يتبع في النهاية بأن يكرر عقيدةَ مدرسةٍ ما . لقد كانت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية في عنفوانهما عند ابن ديصان ، وكانت أبرز نواحيهما عنده ميلهما التكويني مع التفسير المسيحي للحياة والقوة الخلقية . لقد كان يفكر في مشكلة الحياة ، مشكلة إنسانية المسيح ، ولكنه كان في حريته الروحية ، وقدرته على الابتكار في مركز من يعمل بغير أمل في ازدهار بداية الكنيسة الشرقية . أما في كنيسة المتكلمين باليونانية ، فقد أخذ جماعة أسعد منه حظاً هذا العمل الذي بدأه حول مسألة إنسانية المسيح فأتمّوه .

ويخبرنا ابن النديم في الفهرست أن ابن ديصان له من الكتب : كتاب النور والظلمة ، وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد ، وله كتب كثيرة ، ولرؤساء المذهب في ذلك كتب لم تقع الينا ، ولعلّ هذه الكتب لجماعة من أتباعه .

ويذكر المؤلفون من اليونان والسريان أنه ألّف كتباً كثيرة ، أكثرها في نصرة الدين المسيحي بطريقة فلسفية . فقد وضع رسائل في الرد على المراطقة ، من غلاة الفلاسفة والبابليين ، والقائلين بتعدد الآلهة ، والثنوية والمرمونية القائلين بالتسمين . ويذكرون أيضاً انه كتب تاريخاً لأرمينية ، وأنه جمع البيانات التي اعتمد عليها في وضعه من معلومات شفوية استقاها من مسافر هندي مرّ بازه في طريقه الى البلاط الروماني . ويستدل من هذه أنه وضع كتبه بالسريانية . ويستدل من بعض هذه المصادر أيضاً انه ترجمها بعد ذلك الى اليونانية ترجمة متقنة . ولكن يغلب على الظن أن هذه التراجم اليونانية ليست من عمله ولم يبق لنا من هذه المؤلفات مقتطفات إلا قليلة في ثنايا مؤلفات بعض الكتاب ، وقصيدة تحت عنوان « أنشودة الروح » أو « ابن الملك » . ورسالة صغيرة عن القدر على شكل محاورة بين ابن ديصان وأحد تلاميذه عنوانها « كتاب قوانين البلدان »

والراجح أن الذي دوّن كتاب قوانين البلدان هو أحد تلاميذ ابن ديصان وهو يبحث

عن علة الشر الطبيعي ، وبخاصة الشر الخلقي في هذا العالم ، ودفاع عن حرية الاختيار أو حرية الارادة المطلقة ، فالانسان قد خلق حرًّا ، والنجوم التي لها قوة على الأجسام لا تستطيع شيئاً حيال النفس . وقد نبَّه ابن ديصان — تطبيقاً للبراهين المستمدة من العقل والتجربة — الى أن الناس الذين ينتمون الى بلد بعينه يخضعون لقوانينه المختلفة ، عادلةً كانت أم جائرة ، دون أن يكون للكواكب مقدرة على تغييرها . وهذا القسم هو الذي استمدَّ الكتاب منه عنوانه . وفي هذا الكتاب يشترك ابن ديصان كعادته مع تلاميذه في الحوار . فيسألونه : أليس الله علة الفساد الأخلاقي . لأن عوبذا — الذي يقوم بدور المعارض — قال إن الله قد خلق الانسان لكي لا يستطيع أن يخطىء .

وبعد أن قدَّم ابن ديصان بحثاً عن طريقة السؤال والإجابة ، وعن نظام العقيدة والإدراك ، قال : إن الله لا يستطيع أن يخلق الانسان في هذه الحالة دون أن يجعله آلة خالصة ، مجردة من الحرية وعن اللياقة .

واعترض عوبذا على أن الأوامر المفروضة على الناس صعبة ، وأن الانسان لا يستطيع تنفيذها ، فيجيب ابن ديصان : إن الأوامر المفروضة علينا كلها أوامر أخلاقية ، مثل : لا تسرق ، لا تكذب . وعلى ذلك فان تنفيذها ممكن لأنها مستقلة عن قوَّة الجسم .

فيقرّ عوبذا أن الانسان لا يمكنه تجنب الشرّ ، ولكنه يعتقد أن الإنسان لا قدرة له على فعل الخير . فيذكر ابن ديصان أن فعل الخير أسهل من تجنب الشرّ لأن الخير من خواص الإنسان ، إذا استثنينا بضع حالات ، وأن المرء يكون سعيداً اذا فعل الخير . وأن الانسان لا يستطيع أن يقول أكثر من أن الشرّ يأتي من طبيعتنا ، لأنه إذا جاء من الطبيعة الانسانية بوجه عام فان الناس جميعاً يعملون بطريقةٍ واحدةٍ ما داموا جميعاً من طبيعةٍ واحدةٍ . فاذا جاز هذا بالنسبة للجسد ، كما نشاهد في الحيوانات ، فانه لا يجوز بالنسبة للنفس ، فقد ثبت أن الناس كائنات حرَّة يعملون بأنفسهم كل ما أرادوا من الأشياء ، وعلى ذلك فإن الشرّ لا يأتي من الطبيعة الخاصة بكل إنسان ما دمنا نرى أن النفس تنتقل من الخير الى الشرّ أو العكس حسب الظروف ، وإذاً فانه من العبث أن يُحمِّل الناس — الذين تقودهم عواطفهم — خالقهم بالخطايا التي ارتكبوها .

وبعد هذا القسم الأول من الكتاب — وهو فلسفي بعامة — يأتي قسم ثانٍ، موجّه ضد الفلكيين وأشياعهم الذين يُخضعون الناس لحكم القضاء والقدر، حيناً ناحية الشر، وأحياناً ناحية الخير. وقد استعرض ابن ديصان الحالتين المختلفتين اللتين يمكن أن يُفهم منهما تأثير النجوم، ثم انتهج طريقاً وسطاً. وهو يُقرّ تأثير النجوم على الجسد. ثم يُتبع ذلك بأن القضاء والقدر أيضاً له بعض التأثير على الطبيعة، وعلى الحرية ولكن بطريقة غير مباشرة، وبشكل قاصر جداً، لأنه يجب أن تصون هذه الأشياء الثلاثة — : الطبيعة، والقضاء والقدر، والحرية — وجودها الخاص الى نهاية العالم.

وفي هذه القطعة جميعا يظهر تأثير الكواكب مبالغاً فيه، ولكن اذا نظرنا الى دراسة الفلك، كما كانت، وكما استمرت حتى القرن السابع عشر، فسنجد أن رسالة ابن ديصان معقولة جداً بالنسبة لعصره.

وبعد ذلك يقع الجزء الأساسي من المحاورة، فيسأل عويذا: اذا استطعت أن تُرينا أن ذلك الذي يخطىء بسبب القدر (أي النجوم) يخطىء مضطراً، فيجب أن نعتقد إذاً أن الانسان له إرادته الحرة، وأنه بطبيعته مُوجَّه ناحية الخير، ومبعد عن الشر، ومن أجل هذا فانه من العدل أن يحاسب في الآخرة. وقد دعا هذا السؤال ابن ديصان الى أن يُوضح أن الناس يُطيعون قوانين بلادهم ولا يطيعون القدر، وانتقل الى بحث قوانين الصين والبراهمة والهند والفرس والعرب والرُّهاويين واليونان والجرمان والامازونيين والكلدانيين والميديين، ولا يسع الانسان الا أن يقول إن تلك القوانين التي يطيعها الناس ليست الا شكلاً للقدر.

* * *

ثم لنعرض ملخصاً للقصيدة التي بقيت لنا من شعر ابن ديصان والتي تعرف باسم «أنشودة الروح» أو «ابن الملك»:

ابن الملك يقصّ عن نفسه: لما كنت غلاماً، كنت أعيش مترفاً في منزل والدي، وأراد والدي أن أسافر من بلدي في الشرق الى مصر فحمّلني بأنواع الهدايا والملابس المختلفة فضلاً عن الذهب والفضة، ولكنهم أخذوا مني الحلة الثمينة والمعطف الثمين. وقد عاهدتهم ألا أنني اذا ذهبت الى مصر لاستحضار اللؤلؤة من الحية السامة التي

توجد في البحر ، أن ألبس الحلة والمعطف عند عودتي لأرث — مع أخي — مُلك أبي تركت بلاد الشرق متحملاً متاعب الطريق صوب مصر ، فوصلت اليها وحدي وتوجهت الى مكان الحية أنتظرها حتى تنام لأستولي على اللؤلؤة ، وكنت وحيداً غريباً ، ولكني رأيت أحد مواطنيّ من البلاد فصاحبته وحذّرته من المصريين ، ثم لبست لباس أهل مصر حتى لا يداخلهم الشك فيما أريده من الاستيلاء على اللؤلؤة ، ولكنهم لاحظوا من أشياء كثيرة أني غريب عنهم ، فنصبوا لي الشراك ، ولكني أكلت من أكلهم ، ونسيت أصلي الشريف ، وقابلت ملكهم ، ونسيت اللؤلؤة التي جئت من أجلها . وما كدت آكل من طعامهم حتى ذهبت في سبات عميق

وقد شعر والدي بما أصابني فجمع الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب المراتب ، وقرروا أن ينقذوني من مصر ، وكتبوا اليّ خطاباً موقعاً عليه من الجميع يطلبون اليّ فيه أن أستيقظ ، وان أتذكر أني ابن ملك ، وأن أتذكر ما يلحقني من العار في العبودية ، وأن أذكر اللؤلؤة التي حضرت من أجلها ، وألاّ أنسى أن ألبس معطفي وحلتي حتى يكتب اسمي في سجل الأبطال ، وأحكم البلاد مع أخي . وقد وصلتني الرسالة في شكل نسر ، فأيقظني صوتها ، وعرفتها وقبلتها ، وتذكرت اللؤلؤة التي جئت مصر من أجلها ، فذهبت الى الحية وسحرتها حتى نامت ، وسرقت اللؤلؤة . وتهيأت للسفر الى منزل والدي ، وتوجهت نحو الشرق فوجدت الرسالة التي أيقظتني أمامي في طريقي ، وكما أيقظني صوتها أضاء لي تقاطيع جسمها . وقد فُرش طريقي بالمغرة (خيوط الذهب) على حرير الصين . وقادتني بسرعة الى بلادي . فأرسل إليّ والدي الحُلة والمعطف فلبستهما ، وكنت قد نسيت شكلهما ، وقابلت والدي مطأطىء الرأس في حلة مرصعة مطرّزة ، عليها صورة الملك ، شاعراً بأني كبرت بأعمالي ، وصعدت الى باب السلام وباب التضرع .

﴿ مدرسة ابن ديصان ﴾ : ومع أن ابن ديصان كان عالماً فذاً ، ورئيساً لمدرسة الرُّها فإننا لا نعرف إلاّ القليل ممّن تخرجوا عليه وعن الأعمال التي خلّفتها هذه المدرسة مثل أعمال توما ، وهو من الكتب غير القانونية .

﴿ أعمال توما ﴾ : وصل إلينا من أعمال توما نصّان : الاول سرياني ، والثاني يوناني ،

أمّا أيهما هو الاصل فلم يعرف بعد على وجه التحقيق، ولكن المرجح أن الاصل هو النص السرياني. أما فكرة أنه من نتاج مدرسة ابن ديصان فترجع الى أنه من المتوقع جداً أن تقوم هذه المدرسة بتأليف أعمال رسول من كتب الابوكريفا (أي الاسفار المحذوفة). وإن كان هذا الرأي لا يقوم على أساس. ونحن نتبين فيه أثر المانوية التي كان لها في ذلك الوقت قصص مستقل مستمد من الرحلات والعجائب التي يفعلها الرسل. وربما كانت هذه الرحلة الى القسم الشمالي الغربي من الهند، وهي إما من طريق صبغ القصص البوذي بالصبغة المسيحية، أو عن حقيقة متواترة عن رحلة توما الرسول الى الهند. ويظهر فيها إشارة واضحة الى أنشودة الروح: ابن الملك واللؤلؤة، وأنشودة الزواج.

وقد حُمل هذا الكتاب على ابن ديصان أو على مدرسته. وإذا كان لدينا في أنشودة الزواج أثر غنوسطي مسيحي، فإننا نجد في أنشودة الروح أثر وثني.

## ﴿ تلاميذ ابن ديصان ﴾

﴿ هرمونيوس ﴾ — بعد وفاة ابن ديصان استمر ابنه هرمونيوس يقول الشعر، وكان قد تعلم في بلاد اليونان — وبزّ أباه في هذه الناحية، وكان كل همه أن ينشد تعاليم أبيه في أفئدة العامة. وكانت أناشيده وأناشيد أبيه من قبل موضع الإعجاب والتقليد. ومع أن افريم كان يبغضهما أشد البغض، إلا انه على الرغم من ذلك لم يستطع إنكار مواهبهما الشعرية. وليس لدينا شيء عن سيرته.

﴿ عويدا ﴾ — كان رئيس الشمامسة في كنيسة الرها أيام يعقوب، ثم فصل وكوّن له جماعة. وقد أسند اليه تأليف عدد من الرؤى اعترف بها أتباعه الى جانب العهدين القديم والجديد، ومنها رؤيا لابراهيم، ورؤيا ليوحنا، وكتاب الأعاجيب.

والاشارة الى هذه الكتب تدل على روح غنوسطية فلكية ترجع الى تعاليم ابن ديصان.

وقد ذكرت بعض المصادر ان عويدا كان يمثل مذهباً من المذاهب الغنوسطية. على حين يشير مصدر آخر الى انه كان يقول في تعاليمه بالنور والظلمة ويمجد الله.

ولم يصل الينا شيء من أعمال تلاميذه والراجح أن رجال الكنيسة قد أعدموا كل آثارهم.

## كتّاب السريان

## في القرنين الثالث والرابع

لم يصل الينا عن القرن الثالث آثار أدبية تذكر ، فقد تحوّلت الجهود للدفاع عن الاضطهادات التي كان يتعرّض لها المبشّرون بالمسيحية في كلٍّ من المملكتين الرومانية والفارسية .

فلما كان القرن الرابع شعر السريان بحاجتهم الشديدة الى الكتابات الادبية ، وكان السّبق في هذه المرة أيضاً للقسم الشرقي من البلاد التي تتكلم السريانية ، فعمدوا على تسجيل سير شهداء مدينة الرُّها ، فظهرت مجموعتان : ترجع الأولى الى عصر تراجان عن استشهاد كاهن الأوثان شربيل والأسقف برسميا ، الذي كان معاصراً للبابا فلافيانوس (٢٣٦—٢٥٠) . وترجع الثانية الى عصر دقلديانوس ، وتشتمل على سِيَر جوريا وشيمونا والشماس حبيب . والمجموعتان من كتابة تيوفيلوس عن بعض شهود العيان الذين حضروا استشهاد هؤلاء الرجال .

### أسشونا

ومن كتّاب القرن الرابع أسشونا : عاش راهباً في الرُّها ، والظاهر أن شعره كان محبباً الى قلوب العامة لأن الناس كانت تنشده حتى أوائل القرن السادس . وكان معروفاً في ذلك الوقت أنه مات من جرّاء سقوطه من فوق الجبل عندما أراد ركوب المركبة التي تعرج به الى السماء . وكان به مسٌ جعله يفكر في تقليد أليشع . ويقال إنه كان أستاذاً لافريم . وينسب اليه شعر ذو مقاطع ستة فيه كثير من الحوار ويبدأ كله بالألف

### فافا بن عجّي

كان أسقفا على سلوقيا والمدائن ، وهو أول من لُقّب بالجاثليق ، عمل في الثلث الأول من القرن الرابع على توحيد صفوف المسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية وجعلهم تابعين لكرسي عاصمته السياسية ، ولكنه لقي معارضة شديدة من كثير من الأساقفة الذين حاولوا في مجمع مقدّس خلعه . فرأى من جانبه — في ذلك الوقت العصيب —

أن يستدير عدد من أساقفة الكنيسة الغربية ، الذين يعملون في الأقاليم الشرقية المتطرفة لمملكة الروم على حدود الدولة الساسانية ، فكتب اليهم يطلب منهم الاعتراف برياسته على جميع المسيحيين في المملكة الفارسية . وكان من بين الأساقفة الذين وقفوا يعارضونه ويناصرون أندريا أسقف دير ساري ، الأساقفة داود البصري الذي تنازل عن كرسيه ليذهب الى الهند التبشير ، وعبد يشوع الكشكري ، وابراهام التستري ، وجدنيشوع أسقف بيت لشمه ، ويوحنا أسقف ميشن ، ورئيس الشمامسة شمعان بن الصباغين ، وقد استشهدوا جميعاً في عصر اضطهاد الساسانيين للمسيحية الذي قام به شابور الثاني فيما بين سنتي ٣٣٩ و ٣٤١ .

## شمعان بن الصبّاغين

سمي بابن الصباغين لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك ، كان رئيس شمامسة فافا الجاثليق ، ثم عيّن أسقفاً على سلوقيا والمدائن والسوس . وقد استشهد في ١٧ أبريل سنة ٣٤٠ أو ١٣ أبريل سنة ٣٤٤ في رواية أخرى لأنه لم يقبل الرجوع عن المسيحية الى المجوسية .

ويقول عبد يشوع أسقف نصيبين في فهرسه أن شمعان كتب عدة رسائل ، ولكن يظهر أنها ضاعت ، وينسب إليه كذلك عدة أناشيد ، ومؤلف تحت عنوان « كتاب الآباء » أهداه الى تلميذه « أجور » .

## شاهد وست الجاثليق

كانت العادة أن يتخذ الجثالقة لهم أسماء مسيحية عند رسمهم في وظائفهم الدينية ، ولكن يلاحظ أن هذا الجاثليق قد احتفظ باسمه الفارسي « شاهد وست » ومعناه صديق الملك . كان رئيس شمامسة ابن الصباغين الجاثليق . فلما قتل ابن الصباغين بقيت البيعة فترة بغير رئيس ، فاجتمع الآباء سراً وانتخبوا « شاهد وست » خلفاً له ، ولكن أمره ظهر فقبض عليه الفرس مع مائة وثمانية وعشرين أسقفاً وقساً وشماساً وراهباً وحبسوهم خمسة أشهر لاقوا خلالها أصناف العذاب . فلما لم يرجعوا عن دينهم قتل مرزبان المدائن

منهم مائة وعشرين تقياً . وأنفذ الى شابور بـ « شاهد وست » ومن بقي معه . فلاطفه شابور في الخطاب ليدخل في المجوسية ، فلما لم يقبل قُتل هو وأصحابه في اليوم العشرين من فبراير سنة ٣٤٢ .

## أفرهاط

عُرف بالحكيم الفارسي، وهو لقب خلعه عليه السريان من أصحاب الطبيعة الواحدة، وبه اشتهر في الأوساط العلمية ، ويعرف أيضاً باسم «فرهاذ» وقد اتخذ له اسم « يعقوب » عند ما رُسم أسقفاً ، وهو فارسي اعتنق المسيحية وخصص حياته لخدمة دينه الجديد ، ونعرف من كتاباته أنه نشأ في محيط الرهبنة ، وأنه كان أسقفاً ، وأن مقر أسقفيته كان في دير مار متى بالقرب من الموصل . وكان معاصراً لافريم الكاتب وقد مثّل مدينته نصيبين في مؤتمر نيقية ، وعاش حتى شهد نشوب الحرب بين الرومان والفرس . ويقال إنه أنقذ مدينة نصيبين من الفرس بصلاته .

ويُعد أفرهاط أول عَلَم من كتّاب النثر في العصر المسيحي، وقد بقي لنا من تآليفه كتاب في المواعظ يشتمل على ٢٢ رسالة تبتدىء كل واحدة منها بحرف من حروف الأبجدية السريانية ، وقد رُتبت هذه الرسائل وفق ترتيب الأبجدية ، وساعد ترتيبه في هذا النحو على احتفاظ الكتاب بوحدته ونظامه . وقد تناول في هذه الرسائل : القول عن الايمان ، والصدقة ، والصوم ، والصلاة ، ومجاهدة النفس ، وشريعة الرهبان ، والتوبة ، وقيامة الأموات ، والتواضع ، وشريعة الأساقفة ، والختان ، وتحقيق عيد الفصح ، والسبت ، والاسترحام ـ وهي رسالة مجمعية كتبها المؤلف في وقت كانت الكنيسة الفارسية فيه في موقف عصيب وكلف بإرسالها الى مجمع سلوقيا . وتتضمن معارضة الأساقفة لفاقا ـ واختلاف الطعام ، وأن المسيح ابن الله ، والرد على اليهود ، والعذراء ، وحساب خلق العالم ونهايته ، وطعام المساكين ، والاضطهاد ، والموت والآخرة . وقد أضاف المؤلف في نهاية كتابه فصلا معاد بالسريانية ( ط و ط ي ث ا ) ومعناها آخر عنقود يبقى في الكرم ، أوضح فيه الصورة التي جاءت في العهد القديم في أشعيا ٤٥ : ٨

وقد انتهى من كتابة الرسائل العشرة الأولى من كتابه سنة ٣٣٧ وانتهى من الكتاب

كله سنة ٣٤٤ أيام الاضطهاد الذي صبّه شابور الثاني على المسيحيين . والظاهر أنه ألّف هذا الكتاب ردًّا على خطاب أرسله إليه شخص اسمه جريجور سأله فيه عن بعض المسائل الدينية . وقد أكّد المؤلّفون القدماء صحة نسبة هذا الكتاب الى افرهاط : فقد ذكر جرجس أسقف القبائل العربية في خطاب الى صديق له سنة ٧١٤ أنه علم أن مؤلف هذه المواعظ حكيم فارسي ، ولكن لم يدرِ بخلده أنه أفرهاط . وكان الكتّاب المتأخرون أدق بيانًا : فابن العبري يعرف أن المؤلف هو فرهاذ . ويذكر عبد يشوع النصيبيني الصيغة القديمة للاسم أفرهاط ، وكذلك أورده الياس النصيبيني مؤرخ القرن الحادي عشر في تاريخه .

وتعدّ هذه الرسائل صورة للعقائد المسيحية والنظام الكنسي في الدولة الساسانية في عصره ، كما توضح لنا اختلاف الآراء في علم ما وراء الطبيعة في أوائل القرن الرابع الميلادي . أما أسلوبها فلم يكن على درجة كبيرة من البلاغة إذ كثرت فيها الجمل الاعتراضية التي تتضمن استشهادات من الكتاب المقدس ، وجملها طويلة متعبة والفكرة فيها غير واضحة في بعض الأحيان . ولهذا الكتاب أهمية كبرى فمواعظه هي أقدم ما عرفناه من هذا النوع في الأدب السرياني ، ولغته ليست متأثرة باليونانية — التي أخذ يتزايد تأثر السريانية بها في القرون التالية — وهو الى جانب ذلك مصدر يعتمد عليه في دراسة اللغة والتفكير في الكنيسة السريانية القديمة .

وقد «نسب جنّاديوس» كل آثار أفرهاط الأدبية خطأً الى يعقوب النصيبيني المتوفى سنة ٣٣٨ . ولهذا ظهرت الرسائل التسع عشرة باسم يعقوب النصيبيني في ترجمة أرمنية .

## إفريم

كان يطلق عليه عادةً اسم افريم السرياني ، ونبي السريان ، والمِلْفَان أي المعلم ، وقيثارة روح القدس . وهو أكثر آباء الكنيسة السريانية ذيوع صيت ، وكان بحق أحد مشاهير كتّاب السريان في النظم والنثر ، ولقي من إقبال القراء ما لم يظفر به كاتب غيره .

أما عن سيرته فان المصادر التي بين أيدينا لا تروي غُلّة في كثير من الأحيان ، وكل ما نستطيع استخلاصه عن سيرة هذا الكاتب الفذّ الذي غذّى الأدب السرياني بكتاباته ،

انه وُلد في نصيبين في السنوات الأولى من حكم القيصر قسطنطين الأكبر سنة ٣٠٦ على الأرجح . وكان أبوه كاهن صنم يسمى أبنيل أو أبيزل فيما تقول بعض الروايات ، وكانت أمه مسيحية ، وقد جاء في مصادر أخرى انه وُلد من أبوين مسيحيين ، وانه تلمذ على يعقوب أسقف نصيبين . وتقول بعض المصادر إن أباه لما رأى اتصال ابنه بالمسيحيين طرده فمضى الى الكنيسة واعتمد في سن الثامنة عشرة أو الثامنة والعشرين ، والأرجح أنه عُمّد في الثامنة والعشرين ، وانتظم بعد ذلك في سلك الرهبنة ولكننا لا نعرف متى كان ذلك على التحديد . ولا نظن انه رافق الأسقف يعقوب عند سفره الى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . وقد طُعّمت سيرته بالشيء الكثير من الأساطير ، منها أنه أنقذ مدينته نصيبين بصلاته من الحصار الذي ضربه الفرس عليها سنة ٣٣٨ .

وفي أيامه حارب القيصر يوليانوس أهل فارس فغلبهم على أمرهم ، ولكنه أصيب بجرح قضى عليه أثناء عودته الى بلاده فمات سنة ٣٦٣ . ثم عاد الفرس فوقعوا على الرومان وألزموا جوڤيان خليفة يوليانوس بالصلح على أن تكون لهم نصيبين وما جاورها فهاجر إفريم من نصيبين الى المنطقة الرومانية ونزل في مدينة بيت جَرْمَى ، ثم انتقل منها الى آمد (ديار بكر) فأقام فيها بعض الوقت عند خؤوله ولكنه لم تطل اقامته بها فنزح عنها ، وأخيراً استقرّ به المقام في الرُّها منذ سنة ٣٦٥ وعمل استاذاً في مدرستها التي عرفت فيما بعد باسم مدرسة الفرس ، وتقول بعض المصادر إنه هو الذي انشأها وإنه كان ينفق عليها هو ومن خرج معه من الجماعة من نصيبين .

وتقول بعض المصادر إن إفريم غادر الرُّها الى مصر ، وقضى في أديرتها ثماني سنوات ظلّ طوالها يناصب الأريوسية العداء . وقد نشأت عند رهبان دير السريان بوادي النطرون في مصر قصة يروونها عن شجرة لا تزال قائمة هناك الى اليوم ، يقولون إن أصلها عصاً كانت في يد القديس إفريم . وقد بنيت هذه القصة على أساس فكرة أن القديس إفريم جاء الى مصر وأقام في أديرتها ، ولكن ذلك لم يثبت تاريخياً .

وتقول نفس المصادر السابقة إن باسيليوس (المتوفى سنة ٣٧٩) عندما أصبح أسقف قيسارية، وجّه بقوم من حكماء أصحابه وسألهم أن يحتالوا في إحضار القديس إفريم ليجعله

أسقفا على بعض كُوَرِه. وقال لهم إذ ظفرتم برجل قصير القامة، كبير الهامة، أصلع، مصفر اللحية، لباسه خرق مُرقعة من خلقان ملفقة، فاحتالوا لإحضاره، وإياكم أن يفوتكم ويحتال عليكم. ولكنهم مع ذلك لم يفلحوا في إحضاره. ويقال إنه لما طالت إقامته بمصر عاوده الحنين الى الرُّها فمر في طريق عودته بقيسارية، والتقى بباسيليوس أسقفها، ثم استأنف السير الى الرُّها حيث مات ودفن بها في التاسع من شهر يونيو سنة ٣٧٣ م. بعد أن اشتهر اسمه في جميع العالم المسيحي.

وقد قدر العالم المسيحي فضل هذا الكاتب بعد وفاته فزادت عنايته بآثاره حتى أصبح لبعض كتاباته مركز خاص في الطقوس والصلوات فلا يخلو كتاب من كتب الصلوات أو كتاب الأجبية (وهي الصلوات السبع الليلية والنهارية) من صلوات أو طلبات أو توسلات مما أُثر عن القديس إفريم.

وتقول المصادر إن إفريم بدأ يقرض الشعر في نصيبين في سن مبكرة، والراجح أن الذي دفعه الى قرض الشعر قراءته لشعر ابن ديصان وابنه هرمونيوس الذي كان شائعا في ذلك العصر. ولشعره في نصيبين قيمة تاريخية فهو يدلنا على مقدار ما عانته المدينة من آلام أيام حروب الفرس، كما نعرف منه الكثير من أعمال الأساقفة يعقوب، ووابو، وولجش، وابراهام. وكذلك نقف منه على مصير الجماعة المسيحية في نصيبين وما جاورها. وقد بلغ عدد القصائد التي كتبها في نصيبين إحدى وعشرين قصيدة، زادها في الرُّها الى ست وخمسين ثم زادها حتى بلغت سبعا وسبعين كانت كلها عن نصيبين، وأطلق عليها جميعا اسم «نصيبينيات» وهي تتناول موضوعات مختلفة منها قصائد عن تاريخ نصيبين في عصره: فالقصائد الثلاث الأولى نظمت بعد حصار الفرس لنصيبين ثالث مرة منذ وفاة القيصر قسطنطين الأكبر سنة ٣٥٠. والقصائد من ٤ الى ٧ ومن ٩ الى ١٢ نظمها تحت تأثير نكبات الحرب في ربيع سنة ٣٥٩. والقصائد من ١٠ الى ٢١ في مدح أساقفة نصيبين الأربعة وهم يعقوب، ووابو، وولجش، وابراهام في السنوات ٣٥٩ حتى ٣٦٣. وهناك مجموعتان أخريان لتاريخ عصره منها القصائد من ٢٥ الى ٣٠ نظمت حوالي سنة ٣٧٠ والقصائد من ٣١ الى ٣٤ نظمت بعد هجرته الى الرُّها مباشرة

وفيها ذكر محاربة الأسقف فيثرس الجرّاني للوثنية في الرّها . والى هنا تنتهي المجموعة الاولى من نصيبينيات افريم .

أما المجموعة الثانية فكانت ذات مركز ممتاز من الناحية الشكلية لأنها أخذت طريقها الى الرّها واعتبرت من النتاج الشعري الرائع لافريم وسُمّيت فيما بعد باسم « سوغيثا » ومنها القصائد من ٥٢ الى ٦٨ وهي محاورة بين الموت والشيطان ،والقصائد من ٣٦ الى ٤٢ من بدء آلام المسيح .

أما القصائد من ٤٣ الى ٥١ ومن ٦٦ حتى ٧٧ فتشتمل في الاكثر على جدل ضد ابن ديصان وماني ومرقيون ثم قصائد عن قيامة الأموات وأزمة الموت .

وكانت كتاباته في الرّها كثيرة جدًّا . ويعد ما تركه أفريم من الكتابات بوجه عام بما لا يقل عن ثلاثة ملايين من الأسطر .

وتنقسم آثار افريم الادبية الى قسمين : كتابات منثورة — اذ المعروف أن افريم قد استعمل النثر في شرح الكتاب المقدس ، وفي الجدل الديني ، وفي مقالاته ورسائله — وكتابات منظومة : وهي القسم الاكبر من آثاره الادبية ، وأهمها نوعان :

الاول « المدراش » : وهو المنظومة التي تنشد . ومنه خرج السوغيث وكان له فيه أثر ظاهر .

والثاني « الميمر » : وهو المنظومة التي تقرأ ولا تنشد . وكتاباته المنظومة نموذج حاول المؤلفون الذين جاءوا بعده أن يحاكوه فيها .

أما قصصه الشعرية فكانت طويلة معها شيء من الملل لما فيها من شرح للحياة والتعاليم الكنسية . وقد خلت تآليفه تقريبًا من الاشارة الى المعتقدات الخرافية التي كانت شائعة في عصره،وإن كنا نلحظ قليلاً منها بين السطور في صلاته التي وضعها تضرعًا لنزول المطر وكل الكتابات التي وصلت الينا عنه شخصيةٌ صحيحة النسبة اليه ، كما نستطيع أن نحكم بأن الكتابات التي يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام هي من وضعه أيضًا . وكذلك النصوص التي ذكرها الكتّاب الاقدمون مثل فيلوكسينوس المنبجي في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس . وكذلك تبين ان الفقرات التي استشهد بها من الانجيل

ناحية من كتاباته الصحيحة ، فان إفريم — فيما يظهر — كان لا يستعمل الاّ الدياطسرون ، وكذلك نستطيع أن نحكم بأن الكتابات التي تتناول حوادث وقعت بعد وفاته بمدد تصل أحياناً الى أكثر من عشرين سنة لا يمكن أن تصح نسبتها اليه .

أما افريم الناثر فله شروح على عدد من أسفار الكتاب المقدس والدياطسرون ، لم تصلنا عنه مباشرة بل عن أيدٍ متأخرة . وقد وصل الينا منه في لغته السريانية الأصلية شرح لسفر التكوين وجزء كبير من سفر الخروج محفوظ في مخطوطة في مكتبة الفاتيكان ، ومختصر لشرحه للعهد القديم صنعه سويوس الراهب الرهاوي سنة ٨٦١ م . وقد بقي لنا منه مخطوطان أحدهما في مكتبة الفاتيكان ، والثاني بالمتحف البريطاني . وكذلك وصلت الينا ترجمة أرمينية لشرحه على الدياطسرون . وفي عهده اعترفت الكنيسة السريانية برسائل بولس الرسول على أنها من كتابات العهد الجديد . ولهذا شرح افريم هذه الرسائل مع الأناجيل . كما بقي لنا من آثاره كتابات كثيرة عن محاربته لتعاليم ماني ومرقيون وابن ديصان بعنوان « الرد على الثلاثين ، إلى هيباتيوس » وكتابات أخرى مثلها « الى دومنوس » والكتب الخمسة الأولى يبتدىء كل واحد منها بحرف من حروف اسمه ( ا ف ر ى م ) وكذلك بقي لنا منه — فيما يقول فيلوكسينوس — ميمر نثري عنوانه « عن سيدنا » مجّد فيه الالوهية وأعمال الخلاص على يد المسيح . وكذلك بقيت لنا خمس مقطوعات « عن الرجيم العلي » وسيرة لابراهام قيذونايا تظهر فيها بوضوح قوة إفريم الأدبية .

وقد بقي لنا من رسائله رسالة الى رهبان جبال الرُّها ، وجزء من رسالة كتبت الى بوبليوس .

وقد عُزي إلى إفريم كثير من النثر منه تورجامات ، أي شروح على موضوعات من سفري التكوين والخروج . وعن ابتداء الصوم ، ونزول روح القدس ، ولكنها في الواقع ليست سريانية الأصل بل يونانية كما يتضح ذلك من دراسة النص . ومنه شروح عن التوبة ترجع غالباً الى العصر الاسلامي . وشروح عن بعض كتب العهد القديم معروفة عند اليعاقبة وترجع الى القرن التاسع . وشرح على أسفار موسى الخمسة باللغة العربية ، يمكن بسهولة معرفة أنه ليس من تأليفه اذا وازناه بشروحه على سفري التكوين والخروج .

ومقتطفات من كتاب من كتب الرهبنة « كتاب الأحكام » وهو أحاديث بينه وبين تلميذه لا تتفق في معانيها مع ما وصل الينا من كتاباته في الرهبنة في ترجمتها اليونانية. وسيرة الرسل الاثني عشر وهي موجودة عند اليعاقبة والنساطرة.

وشخصية إفريم الشاعر أشهر وأقوى بكثير من شخصية افريم الناثر، وكتاباته المنظومة أكثر جداً من كتاباته النثرية، وقد أخضع لفنه جميع الأوزان السريانية التي كانت معروفة في عصره، فنظم على المقاطع الخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة بينما نظم الشعراء المتأخرون قصائدهم على وزن أو اثنين. كذلك يظهر لنا فنه في استعمال الأقسام الشعرية الى حد لم يصل إليه أحد من السريان فقد فرّق افريم بين نوعين من الشعر: الميدراش والميمر.

أما المدراش فمعناه الاول جدل في نوب شعري ثم استعمل للشعر الذي يُنشد بوجه عام. ويتكوّن المدراش من عدة أبيات تتساوى في عدد مقاطعها أحياناً، وتختلف في عدد المقاطع في أحيان أخرى، هذه الابيات يرتلها فرد، وترد عليه فرقة (كورس) بعد كل بيت بردود العونيثا عونايا، وكل بيت من أبيات المدراش قائم بنفسه وليس من الضروري أن تكون له صلة بالبيت السابق أو اللاحق، وللمداريش أوزان وأنغام شتى، ويُعدّ إفريم من خيرة ناظمي المداريش، وقد حذا فيها حذو داود في مزاميره فنظم أبياتها تارةً على ترتيب الحروف الابجدية وطوراً على ترتيب حروف اسم يسوع أو حروف اسمه (ا ف ر ي م) أو « إفريميون » مصغراً. ويقولون إن إفريم كان يتولى بنفسه تعليم المرتلين (الفرقة) طريقة غناء شعره بالنغم الصحيح.

وقد نظم افريم نوعاً آخر من القصائد سماه « السوغيثا » وزنها بسيط، وتصلح في صياغة المآسي للمسرح الديني؛ وهو يبدأ عادةً بمقدمة مكونة من فقرة أو أكثر يدخل الشاعر بعدها الى لب الموضوع في أبيات يلقيها فرد، وقد تكون حواراً بين اثنين، وترد الفرقة بالإنشاد على طريقة الصلوات المعمودية بالتبادل بين نصفي الفرقة، والفقرات الإساسية ينشدها اثنان من المجموعة يتقدمان للإنشاد.

ويشتمل الجزء الأكبر من مخطوطات افريم التي كتبت قبل الاسلام على مداريش،

وعلى رأسها مجموعتان في الجدل مكونتان من ٥٦ مدراشاً . وفيها جدله مع ابن ديصان ومرقيون ومانى ، وعنوانها « الرد على المارقين » ، ومعارضات ضد الأريوسية ، وسبعة مداريش عن « اللؤلؤة » أي عن المسيح وسرّ خلق الانسان ، وخمسة مداريش في الرد على يوليانوس امبراطور الروم الذي ارتدّ من المسيحية الى الوثنية ، ومداريش جدلية أخرى كتبها في نصيبين في النصف الأخير من سنة ٣٦٣ بعد وفاة القيصر يوليانوس . ومنها مدراش عن الفردوس فيه كثير من الخيال ويتألّف من ١٥ أنشودة .

وهناك بعض مداريش لم تصل الينا كاملة : عن عيد ميلاد المسيح ، والصوم وعيد الفطير والصلب وشهر نيسان بمناسبة عيد الفصح ، والتائب ، وكلها مداريش دينية تستعمل لإحياء أعياد الكنيسة . ومدراشان لإحياء ذكرى رجلين من رجال الكنيسة : الأول عن ابراهام قيدونايا ويشتمل على ١٥ أنشودة ، والثاني عن يوليان صبا ويشتمل على ٢٤ أنشودة . ومدراش عن الإخوان المكابيين ومداريش عن موضوعات دينية مثل التبتل وسرّ سيدنا ، والكنيسة ، وقد بقي لنا المدراش الأخير في مخطوطين يرجعان الى القرن السادس .

وقد اقتطفت الكنيسة السريانية من مداريشه أبياتاً ألّفت منها المداريش التي تتلى في صلاة الليل أيام الآحاد والأعياد والصوم الى غير ذلك ، واليك ترجمة أحد هذه المداريش عن عيد القيامة :

جد علينا أيها الرب المبارك بقليل من فيضك .
في هذا الشهر الذي أضحت هباته جميع البرايا .
لقد انسكبت آلاؤك عليهم فاضة .
فازدانت الجبال بأعشابها ، والحقول بزروعها .
وزخر البحر بأصدافه ، والبر بحيوانه .
وازدانت السماء بنيّراتها ، والبسيطة بزهورها .
فنيسان زينة الأرض وعيده حال البيعة المقدسة .

هذا هو شهر نيسان الذي يشبع .
ينتهي بالصائمين الى حيث الأشياء الشهية .
ويلتقي غير الصيام عن رقاب المجاهدين الصابرين .
ويقود الناس والحيوان الى النجعة .
فحذار إخواني أن نحاكي الحيوان حين يأكل
فنجعل من الفطر سبيلاً الى الشره ، فقد صمنا للحق فلنفطر مغتبطين .

*

إن نيسان يحيك للأرض لباساً موشّى بشتى الألوان
فتظهر الخليقة متشحة بحلة من الزهور ، وطيلسان من الورود
إن أم آدم ( أي الأرض ) ترفل في عيد نيسان وعليها ثوب لم تنسجه الأيدي
وهي تبتهج لأن مولاها قد هبط اليها فيه . وفيه رُفع ابنها
فالأرض في حفلين : حفل سيدها وحفل ابنها .

*

وفي نيسان هبط الرب من علٍ ، فتلقفته مريم
وفي نيسان قام الرب ، وصعد ، وأبصرته مريم
وأحست به مريم عند نزوله ، وقد أبصرته في قيامته
إن اسم مريم مقرون بالصعود والنزول
فهنيئاً لك نيسان فقد شهدت حمل الرب وموته وقيامته .

*

وفي نيسان انتعش الصليب وسنحنا جميعاً ثمرة الحياة
وفي نيسان شاع طير السلام يشدو لنا .
وفي نيسان عيد الفصح الذي فيه تهبط روح المجد .
فتحل في المعمدين ، فيصبحون قيثارات ناطقة .
تنشد أناشيد الحمد ، للحي الذي نزل وحلّ بين الأموات .

*

اللهمّ امنن علينا برحمتك بشهور بهجة وسني ايناس.
فليأتنا نيسان بزهره يا رب بالسلام ، وايار بزنبقه .
وحزيران بحزمه ، وتموز بحنطته ، وآب وايلول بالعناقيد في سلالها .
وتشرين وتحيته تشرين بالمعاصر، وكانون وكانون بالراحة.
وشباط وآذار بالصوم . لك الحمد يا إلهي .

*

و ينظر نيسان الى تشرين حبيبه المطبوع على شاكلته .
فهذا مطلع العام في ترتيب شهوره . ونيسان رأس شهورها وأعيادها
لنيسان اللبن ،ولتشرين النبيذ ، لهذا الزهور ، ولذاك الفواكه.
لنيسان العطور الزكيّة ، ولتشرين الاطعمة اللذيذة.
وهما يشبهان الرب ، فإنهما يرّدا الجسم بظلّهما من الحُمّى .
وترد مجموعة المرتلين على أبيات هذا المدراش بالرد التالي :
لك الحمد أيها المسيح في بداية صيامنا ، والآن في منتهاه .

***

وأما الميامر فهي شعر يقرأ ولا ينشد ، وقد يدخل فيها بعض فقرات تنشد ، وهي تعليمية أو تعصية للكتابات الآرامية الشرقية . ويمكن أن تكون هذه الميامر طويلة بحيث تبلغ آلاف الأبيات . وأبياتها متساوية المقاطع غالباً . وهي من ذات المقاطع السبعة ، وهي عادةً ذات دعامتين تتكوّن الأولى من ثلاثة مقاطع . والثانية من أربعة. وهذا هو النوع الذي كتبت به مدرسة ابن ديصان ، وقد نظم به افريم واستعمله سلاحاً ماضياً في جدله ، وكتب به مراثيه ، وعلّم به سامعيه المسائل الدينية المختلفة،واستخدمه كذلك في كتابة الطقوس الدينية ، ومنها ميامر في الرد على ابن ديصان ، وميامر عن الكنيسة — حافظ على وحدتها أنها موضوعة على ترتيب حروف الأبجدية — وميامر عن الصلوات لحاجة الكنيسة ، ومنها صلاة الرجاء لسقوط الأمطار ، وقد عرف منها فيلوكسينوس المنبجي في أوائل القرن السادس الميلادي مجموعة لا تقل عن احدى عشرة قصيدة

ونستطيع أن نرى في هذا الميمر الذي كتبه إفرام في الرد على ابن ديصان — والذي نسجل لك ترجمته العربية هنا — رأي الكنيسة السريانية القائل بأن الله يتحلل في جميع مخلوقاته ويلازمها وهو في هذا الميمر يعارض رأي ابن ديصان في القدر :

واحد هو الأبديُّ الذي نعرفه ونراه
وهو كائن بذاته ، وبغيرذاته ، تبارك اسمه .
أبديٌّ إرادته بكل مكان
الظاهر الباطن ، المشرق الخفي ، وهو فوق وتحت .
وهو تحت مخلوط مع من تحت تفضلاً منه
وهو سام ومرتفع ارتفاع مجده في العلويين .
وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، ومع كل شيء
يشبه البحر عند ما تسبح فيه الأسماك .
فكما تلازم المياه الأسماك طيلة حياتها
هذا يلازم الله جميع خلقه .
وكما تغطي المياه الأسماك دائماً
كذا يضفي الخالق على كل ما أبدع كبيراً وصغيراً .
وكما أن الأسماك مغمورة بالمياه ، فان الله يغمر
المرتفع والمنخفض ، والبعيد والقريب ، وكل من عليها .
وكما تقاوم المياه السمك حيثما ذهب
هكذا الله مع من يسير .
وكما تصاحب المياه السمك في كل رَوَحانه
كذلك يصاحب الله كل امرء ويراه في جميع أفعاله .
لا يكره الناس الأرضَ لأنها هي معبرهم
ولا ينأى المرء عن الصالح ، لأنه هو مُرشده .
وهو يربط كل الأشياء في جميع النواحي

كما ترتبط النفس بالجسد والنور بالعيون
لا يستطيع المرء أن يهرب من نفسه لأنها معه
ولا يستطيع المرء أن يهرب من الله لأنه ملازم له .
وكما تحيط المياه بالسمك وتلامسه
هكذا تتصل الطبائع كلها بالله .
هو مختلط بالهواء ، مع أنفاسك التي تدخل صدرك
ممزوج بالنور كاتصال الرؤية في العيون .
إنه يختلط بروحك ، وهو فيك ، يساورك حيثما ذهبت
يقيم فيك ، ولا يخفى عليه كل ما يدور في خاطرك .
وكما أن العقل يسبق الجسد ويتعقبه
هكذا الله سابق لنفسك متعقب لها .
وكما أن الرأي متقدم على العمل
هكذا تتقدم فكرته فكرةَ من يفكر
بعيدٌ عن كل شيء ، مختلطٌ بكل شيء ، ومشرقٌ على كل شيء
الاسم العليّ ، والعجب المستور الذي لا نعرف كنهه .
هكذا الأبدي الذي لا يجادل الناس في كنهه
تلك القوة التي لا تكشف عن غورها .
ليس في المرئيات ، ولا في المغيبات معارض له
ذلك الذي خلق الكل من العدم وأبدعه .
قال الله : فليكن نور . فكان
ولتكن ظلمة . فكانت .
لقد أورى الله النار من الحجارة وأنبع الماء من الصخر
هو واحد قوي أوجد هذا كله من العدم . !
هذا هو الموجود الذي جوهره منه

بارادته تتلظى النار وبارادته تخمد
يحرق الخشب في الغابة الكثيفة فتشتعل النار
فيهيج فيها اللهب ويأكل بعضها بعضاً ، وأخيراً تخمد
تماسر حياته الذي يفتح فمه ليقول شيئاً عن الله
كاره لنفسه الذي يوردها موارد الحتف وليس الله
اذا عرف المرء الكثير بعقل الدنيا فإنه يُحرم كثيراً
وكذا اذا بهرته الوثنية بزخرف القول
يا ابن ديصان ، أيها السافك ، يا من عقله كاسمه

ولم يكن عند إفريم ولا عند غيره من الكتّاب القدماء قافية مقصودة ، ولم تظهر القافية إلاّ في وقت متأخر بعد فتح العرب لبلاد السريان ، نتيجة لتأثر أدباء السريان بالشعر العربي المقفى . كذلك لم يعرف السريان الوزن الشعري المعروف عند العرب واليونان .

ومن الملاحم التي صحت نسبتها اليه ملحمة عن موعظة يونا في نينوى ، وموعظة التوبة وكان لها ثلاثة ميامر ، الأول : عن زلزال وقع سنة ٣٥٨ ، والثاني : كتبه سنة ٣٦٣ م عن ضم نصيبين الى الفرس ، والثالث : عن هدم نيقوميديا . وله ١٣ ميمراً عن الحصارين الثالث والرابع لمدينة نصيبين .

وقد نسب إلى إفريم عدد كبير جداً من الاشعار ، وإنه ليصعب علينا أن نجزم بصحة كل ما نسب اليه مما وضعه إبان إقامته في الرُّها ، وهل كلها من تأليفه ، أو أن بعضها من نظم بعض تلاميذه ثم نسبت اليه . وليس من اليسير أن يُظهر النقد كل المنحول من كتاباته . ولكن النقّاد توصلوا الى إثبات أن بعض القصائد لا يمكن أن تكون من شعر إفريم ولكنها حملت عليه ، كقصيدة في غزوة تتار التي حدثت في يوليو سنة ٣٩٦ على حين أن إفريم مات في يونيو سنة ٣٧٣ ، ويرجح نولدكه في رسالة له عن سيرة الاسكندر ان هذه القصيدة أُلّفت بعد الفتح العربي ؛ وكذلك القصيدة التي فيها نفي يوسيس أسقف الرُّها نتيجة لاضطهاد واليس للمسيحية ، فمعلوم أن يوسيس قد نفي في سبتمبر سنة ٣٧٣

أي بعد موت إفريم بثلاثة أشهر ؛ وغيرها من رثائه لباسيليوس أسقف قيصرية مع أن باسيليوس قد مات بعده .

هذه القصائد التي قام الدليل على انها ليست لافريم حفزت الباحثين الى الشك في بعض ما نسب اليه ، فقد شك الباحثون مثلاً في صحة نسبة قصيدة اشتهرت في تاريخ الأدب السرياني عن سيرة يوسف الصديق ، وتعد هذه القصيدة من أبدع ما خلفه الأدب السرياني وهي مقسمة الى اثنتي عشرة أنشودة ، اشتملت على الكثير من قوة الشاعرية في الشعر السرياني ، ولذلك فقد لقيت كثيراً من المعجبين بها والمقلدين لها ، ولكن المصادر لم تتفق على أن مؤلفها إفريم ، فقد نسب سليمان الباسوري هذه القصيدة الى إفريم ، على حين تنسب هذه القصيدة نفسها الى « بالي » في مخطوطة ترجع الى القرن السادس محفوظة في المتحف البريطاني ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بصحة نسبتها الى واحد منهما .

وقد اشتهرت كتابات إفريم في جميع العالم المسيحي ، ولهذا نقلت بعض مؤلفاته في حياته الى اليونانية ، ومنها ميامر شعرية من ذات المقاطع السبعة ومجموعة تبلغ ٤٩ ميمرا عن الرهبنة قرأها فوتيوس . وكانت معروفة عند الرهبان اليونان فحفزتهم الى الاهتمام بالسريان .

وقد ترجم الكثير من كتب إفريم الى اليونانية والأرمنية في عصور متقدمة ، كما نسج كثير من الكتّاب على منوال كتابات إفريم وحملوها اسمه ، منها ما يرجع الى القرن العاشر ، ومنها ما يرجع الى ما قبل ذلك . وهناك كثير من كتاباته تحمل اسم « يوحنا فم الذهب » و « مكاريوس » ، كما تحمل بعض كتابات « فم الذهب » اسم إفريم .

***

والراجح أن التراجم القديمة قد دخل عليها كثير من الزيادة والنقص على مرّ السنين تبعاً للتطورات التي تدخل على حياة الأقوام الذين يستعملونها . والترجمة الأرمنية لإفريم ترجع الى القرن الخامس ، وتراجمه في هذه اللغة أحسن بكثير من تراجمه الى اللغة اليونانية . وقد نسبت اليه في الأرمنية بعض مقطوعات ، منها محاورة بينه وبين اسحاق عن تاريخ عيد الميلاد ، وكتابة عن تأسيس أول كنيسة في القدس .

ونقلت الى القبطية بعض كتابات إفريم ، والظاهر أنها تُرجمت عن اليونانية . وكذلك نُقلت بعض كتاباته الى اللغة السلافية ، وهي مترجمة بدورها عن اللغة اليونانية .

وهناك عدد من مؤلفات إفريم منقولة الى اللغة العربية، ففي سنة ٩٨٠ م ترجم الملكي ابراهام بن يوحنا الانطاكي حوالي خمسين مقالة من كتابات إفريم عن الرهبنة .

وهناك بعض كتابات بالخط القرشوني عن العقائد السريانية اليعقوبية يبدو أنها تُرجمت عن السريانية .

وكذلك ٥٢ ميمراً في الوعظ ذكرها أبو البركات بن كبر في قائمته، منها نسخة في مكتبة الفاتيكان تاريخها سنة ١٣٢٩ م . وفي مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت نسخة أخرى أقدم منها تاريخها سنة ١٢١٦ م . وفي آخرها مديح القديس جريجوريوس نيسن فقديس إفريم، وقد نشرت مجلة المشرق . وله كذلك ٦٨ ميمراً أخرى في احدى مخطوطات الفاتيكان تاريخها سنة ١٣٢٥ ، وله ميامر أخرى معرّبة في مكتبة ديار بكر للكلدان ومكتبة دير البلمند للروم وفيها سيرته .

وفي مكتبة دير الشرفة للسريان الكاثوليك ١٦ ميمراً في آلام المسيح ، وميامر متفرقة في الديونة ، وفي القديس الياس النبي . وهناك أيضاً ترجمة عربية لتفسيره على سفر التكوين بالخط القرشوني في مكتبة الموارنة بحلب . وكتاب مغارة الكنوز المنسوب اليه ، وهو عبارة عن قصة آدم وحوّاء بعد أن طردا من الجنة ، وقد نشر بتنولد Bezold هذا الكتاب في المتنين السريانية والعربية مع وصف النسخ التي وقف عليها . ويتناول هذا الكتاب أخبار آدم وذريته الى عهد المسيح مع تفاصيل عن أحوال آدم وحوّاء بعد خروجهما من الجنة ودخولهما في مغارة تدعى مغارة الكنوز .

وكذلك نُقلت الى الحبشية القديمة بعض كتابات افريم عن طريق العربية، وفي الغرب نقل الى اللاتينية كثير من كتاباته عن اليونانية . ولا يمكننا طبعاً أن نحكم من التراجم عن صحة نسبة أصلها السرياني الى افريم مادام الأصل السرياني غير موجود ، فقد يكون توسّط بين هذه الترجمة وبين الأصل تراجم أخرى .

# مدرسة إفريم

نشأت في الرُّها مدرسة لافريم امتدت الى آخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . والظاهر أن افريم على شهرته الواسعة وذيوع صيته ككاتب ديني لم يكن له تلاميذ جديرون بأن يخلفوه . وقد جاء ذكر هؤلاء التلاميذ في عهد خلفه افريم . ذكر فيه منهم أَزْوَط وباولونا شحياً عليهما باللائمة لأنهما انحرفا الى الهرطقة، وترجع شهرة باولونا الأدبية الى ما أُثر عنه من المداريش والميامر في الرد على الهراطقة ، والجدل مع مارقيون ، ورسالة عن المؤمنين ، وأخرى عن العقيدة ، ومنهم جماعة ذكرها افريم بالمدح والثناء ، ومنهم سمعان الذي تنسب اليه سيرة افريم ، وابراهام ، ومارا الانجيلي ، وآبا . ويذكر الكتّاب المتأخرون أن له شرحاً على الأناجيل أي الدياطسرون ، وموعظة عن أيوب ، وشرحاً للمزامير ومنظومة على المقاطع الخمسة بقي منها قطع قليلة

ومنهم « زنوبيوس الجزري » الذي كان شماساً في كنيسة الرُّها ، وله عدد من الرسائل في الرد على مرقيون وعلى شخص اسمه بامفيلوس ، وله عدد من الرسائل إلى « إيزودور » ولوكيلوس ، وابراهام ، وأبرب . ومنهم يعقوب وقد بقي لنا منه بعض شروح لكلام أستاذه افريم .

وقد اشتملت سيرة افريم على اسم تلميذ آخر من تلاميذه وهو اسحاق ، وقد فهم خطأً أنه اسحاق الانطاكي . ومن الكتّاب الذين ينتمون الى إفريم في نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ، « أُرّا » الذي عارض السحرة ، وله كذلك كتاب اسمه « الجبارين » في الرد على ابن ديصان ، وكذلك « بِشُور أو برقوسين » ويخلط الناس بينه وبين مؤسس دير نسطوري في أواخر القرن السادس اسمه « برقوسما » . كتب مجلدين في الرد على الفلك عند الكلدانيين ، وله كتاب عن المارق « بارافرون »

ومع تطور الحياة الأدبية في القسم الروماني لاقليم ما بين النهرين الذي تميز بظهور إفريم ، كانت المسيحية في المملكة الساسانية قد ذاقت عاصفة الاضطهاد التي بدأها

« شابور الثاني » ( ٣٠٩ — ٣٧٩ ) ضد المسيحيين ، وكان ملكها في ذلك الحين « يزدجرد الأول » (٣٩٩—٤٢٠) وكان من ضحاياها ماروثا الذي لعب دور الوسيط في إقامة السلام الديني ، وكذلك «آحي» الجاثليق ، وكان نشاطهما الأدبي يمدّ ناحية حصر جديد في الأدب تتمثل فيه حياة الكنيسة الداخلية ، وتسجيل أعمال المجامع التي أقرت في ذلك الحين لتسوية الخلافات الدينية ، وجمع سير الشهداء وتدوينها ، وترجع بداية هذا العصر الى السنوات العشرة السابقة على عصر الاضطهاد ، واستمر النشاط الأدبي في هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة لحكم «يزدجرد الأول» وأيام « بهرام الخامس » ( ٤٢٠ — ٤٣٨ ) و «يزدجرد الثاني (٤٣٨ — ٤٥٧) . وكان جريجوريوس الراهب يمثل أدب الرهبنة في المملكة الساسانية .

## ماروثا أسقف ميفارقاط

كان أسقفاً على مدينة ميافارقين — كما يسميها العرب — ويسميها السريان أيضاً مدينة الشهداء ، ويطلق عليها اليونان اسم Martyropolis وتنحصر فترة نشاطه بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . وتوفي سنة ٤٢٠م . وكان أديباً متقناً ، وكان الى جانب ذلك حجة ثقة في علوم الطب . ظهر سنة ٣٩٥ في القسطنطينية ليدفع القيصر «أركاديوس» الى الاهتمام بحالة المسيحيين الذين كانوا في المملكة الفارسية . فأرسله أركاديوس الى يزدجرد الأول ، فنجح في سفارته هذه بفضل نبوغه في علم الطب . واستطاع أن يعقد سنة ٣٩٩ م مجمعاً للكنيسة الفارسية في سلوقيا رأسه الجاثليق اسحاق ( ٣٩٩ — ٤١٠ )

وفي سنة ٤١٠م أرسله تيودوسيوس الثاني سفيراً الى المملكة الساسانية ليتوسط في رفع الاضطهاد عن المسيحيين الذين يقيمون في بلاد فارس فاستطاع أن يجدد العلاقات الكنسية وأن يعيد السلام الى الكنيسة الفارسية . وتقول المصادر الشرقية إنه حضر مجمع القسطنطينية ، ولكن اسمه لم يرد في جدول أسماء الآباء الذين حضروا هذا المجمع . وتقول نفس المصادر إنه مهد للجاثليق «يهب الله» في سنة ٤٢٠ أن يرأس مجمع طيسفون ( المدائن أو مدائن كسرى وهي على الشاطىء الأيسر من نهر دجلة وأطلالها على بعد ٢٦

كيلو متراً جنوبي بغداد ويقابلها على الشاطىء الأيمن أطلال مدينة سلوقيا ) .

أما كتاباته فأكبرها مجموعة عن أعمال الشهداء الذين اضطهدهم الفرس وتشتمل على بيانات عن الذين اضطهدوا في سبيل العقيدة المسيحية أيام شابور الثاني ، ويزدجرد الأول وبهرام الخامس ، وأضاف إليه خطبتين عن الشهداء وتعذيبهم . ويذكر أن ما سجله هو من رواية شاهد عيان هو « أشعيا بن حدّبو » من مدينة أرزان وهو أحد فرسان ملوك الفرس ، وتعطينا هذه المجموعة فكرة عن الحالة الاجتماعية في بلاد الفرس ، وبعض المعلومات الجغرافية ، وبيانات عن نظام الادارة في المملكة الساسانية لم ترد في مصادر أخرى . وقد بقي لنا أجزاء من هذا المؤلف في بعض مخطوطات المتحف البريطاني ترجع الى القرنين الخامس والسادس .

وله كذلك أناشيد وتراتيل شعرية عن الشهداء . وترجمة للقوانين التي صدرت عن مجمع نيقية . أما رسالته الى الجاثليق اسحاق عن مجمع نيقية فانه لا يمكن أن تكون كلها صحيحة النسبة إليه لأنها تختلف كثيراً عن القوانين الصحيحة للمجمع . وهي تتعارض — من الناحية التاريخية — مع الحقيقة التي نعرفها عن علاقة « ماروثا » بالبلاط البيزنطي كما أنها تختلف في ترتيبها عن النصين العربي والحبشي لهذه القوانين: اذ عدد القوانين ٨٤ قانوناً في النص العربي بينما هي ٧٣ قانوناً في النص السرياني ، فالقوانين الأولى في النص العربي وعددها ٣٢ قانوناً لا يقابلها شيء في النص السرياني لأنها تتضمن نظام تنصيف الأساقفة ومسائل تتعلق بالقسس والرهبان من أتباع فول الشمشاطي . وقد دخلت هذه القوانين في الكنيسة الملكية بنصها العربي ولا نعرف الطريق الذي وصلت إليهم منه ولا التاريخ الذي تم فيه ذلك ، وقد أخذها الأقباط عن الملكية . وعلى أي حال فإن هناك أجزاء منها — كبعض الشروح اللغوية عن الاستعمالات اليونانية في الكنيسة — لا يوجد ما يمنع من التسليم بأنه كتبها الى الجاثليق اسحاق مع قرارات مجمع نيقية الأصلية .

• • •

^ أما الميمر الذي ينسب إليه ، وشرح الدباطشرون فانها تنسب الى « ماروثا » مفريان « تكريت » على الأرجح .

## آحيْ الجاثليق

درس على « عَبْدا » مؤسس مدرسة دير عَبْدا . وبعد وفاة اسحاق سنة ٤١٠ بقي مكانه شاغراً تاماً كاملاً ، ثم اختير آحيْ خلفاً له ، وبقي في كرسي الجثلقة أربع سنوات وسبعة أشهر ، وتوفى سنة ٤١٦ . وكان يزدجرد الاول يقدره قدره فأرسله الى أخيه لتسوية خلاف بينهما، وقد زار في رحلته هذه مقابر الذين استشهدوا في الاضطهاد وجمع ما نُقل من سيرهم ودوَّنه في كتاب ، وكتب الى جانب ذلك سيرة معلمه عَبْدا .

## سير شهداء الفرس

تعرَّضت الكنيسة المسيحية في القرون الأولى لقيامها لكثير من الاضطهادات ، وكان الرهبان ورجال الدين هم أكثر الناس تعرُّضاً لها عقاباً لهم على ما قاموا به من أعمال في سبيل نشر دينهم ، وكانت هذه الأعمال في الأدب السرياني — كما كانت في غيره من الآداب المسيحية — موضوعاً لعدد من الكتابات خلال فترة طويلة من الزمن . ففي الشرق استشهد بريخ يشوع ويونان مع سبعة آخرين سنة ٣٢٨ م فكتب سيرهم شاهدُ عيان هو أشعيا بر حدبو الذي عرفناه من قبل ، وفي سنة ٣٤٠ م استشهد عدد من أساقفة الفرس تسجل سيرتهم الاسقفان ماروثا وآحيْ .

وفي العام الرابع للاضطهاد استشهد الأسقف رمي من شهارقَدْ في بيت جَرْمي . وشهداء مدينة بيت سلوك ( كركوك الآن ) . وما لقيته جماعة من منطقة جيلان من عسكر الفرس سنة ٣٥٠ م . وقد ظهر في الاضطهاد الذي وقع في عصر يزدجرد الأول سيرة عبدا وأقرانه ، وترمى من بيت رازيقايا وشهداء بيت جرمي . وفي السنوات الأولى لحكم بهرام الخامس استشهد مهرشابور وفيروز ، والكاتب يعقوب . وقد دوِّنت سير هؤلاء جميعاً وما لاقوه من تعذيب في سبيل عقيدتهم .

## جريجوريوس الراهب

تذكر المصادر النسطورية المتأخرة أن جريجوريوس كان من رهبان الطبقة الأولى للرهبان الشرقيين وهو فارسي من كثير من أعمال مدينة سوسة . ويقال إنه ذهب الى

نصيبين على أثر رؤيا رآها ، وانتقل منها الى الرها ليدرس في مدرسة الفرس هناك ، ودخل دير طور عابدين في جبال الأزل ، ثم ارسل الى جزيرة قبرص ليرأس رهبانها السريان هناك . يقول صاحب تاريخ النساطرة : ولكنه كان لا يحسن اليونانية فجعله الرهبان بستانيا وأقام على ذلك عامين تعلم خلالها اليونانية ، ثم صار رقيبا على الرهبان وبقي على ذلك حينا . ثم ترك الجزيرة وعاد الى صومعة في جبل الأزل وينسب اليه كتاب في تدبير الرهبنة جعله ثلاثة أجزاء : الأول مواعظ للاساقفة . والثاني في الرؤيا التي رآها . وضمن الثالث رسالة وهي موجهة الى صديقيه تيودوروس وايفانيوس ويظهر أن أيفانيوس هو أسقف سلاميس في جزيرة قبرص ، وله رسائل أخرى في الرد على أسئلة مختلفة للرهبان . وله مختارات في الصلاة جمعت من كتاباته يظهر فيها أثر الاعتقاد بالشياطين

***

الى جانب الكتابات التي ظهرت في الاقليم الشرقي واقليم ما بين النهرين الفارسي ، ظهر في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع مصرح تلك الكتابات السريانية من وضع السريان الذين كانوا تابعين للدولة الرومانية وكان يمتد الى جميع مناطق الحدود التي كانت خاضعة للثقافة الهلينستية ، وكان منها كتابات رجال اللاهوت اليونان وجيرانهم من أهل فلسطين . مثل أوسابيوس القيصري وطيطوس البصري وأوسابيوس الحمصي . وقد ترجمت أعمال هؤلاء في عصر متقدم الى اللغة السريانية . وينتهي كتاب القرن الرابع بشاعر ظهر في سوريا الغربية وبقيت لنا بعض أعماله وهو قوريلونا وكانت كتاباته باللغة السريانية .

## أوسابيوس القيصري

بقي لنا من كتاباته ثلاثة كتب مترجمة ترجع الى القرن الرابع ولكن أصلها مفقود . الأول عن شهداء فلسطين والثاني موعظة الشهداء والثالث عن عدم سقوط المطر .

وقد عرفنا كتابه عن تاريخ الكنيسة من ترجمة ارمينية . ولم يصلنا شيء من كتابه عن سيرة قسطنطين . أما خطابه الى اسطناوس ومارينوس فقد عرفناه مما كتب عنه في الكتب الأخرى .

وقد أضيف الى أوسابيوس كتاب عن النجوم ، وأشياء عن التقاويم وشرح

لقاطيغورياس أرسطو . وقد وجدت له — الى جانب كتابه عن شهداء فلسطين ترجمة لشهداء من الاريوسيين في نيقوميديا .

## الاسقف طيطوس البُصري

توفي أيام القيصر والبس (٣٦٤ — ٣٧٨) ألّف كتبه الاربعة ضد المانوية بعد سنة ٣٦٣ م وترجمت الى السريانية بعد كتابتها بعشر سنوات تقريباً . وقد بقيت لنا تحت اسمه مقطوعة من موعظة عن عيد الميلاد يظهر أنها مترجمة عن اليونانية .

## الاسقف أوسابيوس الحمصي

ولد في الرُّها ، وقد نصّبه مجمع انطاكيه الذي اجتمع عام ٣٤٠ م بطرقاً على الاسكندرية بدلاً من اثناسيوس . كتب ميمراً عن الصوم بالسريانية وصلت الينا منه مقطوعة ، ويظهر أن كثيراً من كتاباته قد ترجمت الى السريانية ولكنها ضاعت . وله ميمر عن الشهيد اسطفانوس ، وكثير من المواعظ .

## فوريللونا

ويسمى أيضاً كيريليونس ، وهو شاعر لا نعرف عن حياته شيئاً ، وقد وصلتنا منه بعض قصائد ومقطوعات ومقدمة لمدراش ، وميمر على وزن المقاطع الاربعة عن هجوم الجراد ، وآخر عن غارة التتار التي وقعت في يوليه سنة ٣٩٦ م ، وقد كتبت هذه القصيدة بعد الغارة بعام أي سنة ٣٩٧ إذ يقول فيها « لمّا تمرّ سنة بعدُ منذ خرّب التتار سوريا » وله ميمر عن العشاء الربّاني وصلب المسيح ، وسوغيثا عن عيد الفصح وقصيدة عن عيد الميلاد ، وتنسب اليه مقطوعة عن زكّي العشّار ، وميمر عن القمح على وزن المقاطع السبعة ، ولكن عبارتهما تدل على أنهما ليسا لشاعر ممتاز ، وهما فيما يظهر لشاعر آخر ظهر في النصف الأول من القرن الخامس يسمى « فورى » .

وقد خلط بيكّل بين فوريللونا وعبشّيا الذي كان قسيساً في الرُّها ، وهو ابن أخت إفريم وتلميذ زنوبيوس ، وزعم أنهما شخص واحد ، وحجته في ذلك أنه يُروى أن كليهما قال شعراً عن غارة التتار وأن كليهما كتب مدارش وميامر على وزن المقاطع السبعة وهي

حجة واهية. وقد ورد في تاريخ الرها أن عبسيا نظم أشعاراً من غارة التتار سنة ٤٠٤ م وتكلم عنه ديونيسيوس التلمحري في سنة ٣٩٧. ولا نستطيع أن نعتمد على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الكنيسة، إذ أنه بعد أن تحدث من وفاة «يوحنا فم الذهب» سنة ٤٠٧ ذكر أن تيردور المرموسيات حوالي ذلك الوقت سنة ٤٢٩ وقال إن عبسيا كان مشهوراً في ذلك الحين، وأنه وضع كثيراً من القصائد عن غارة التتار على وزن القديس إفريم ذي المقاطع السبعة، ولما كان ازدهار برصيا يرجع الى حوالي سنة ٣٩٦ أو سنة ٤٠٣ فقد قيل تبعاً لذلك إنه كان حاضراً مجمع نيقيا كما قال ابن عبد السلام. ولكن يظهر ان ابن العبري أخطأ عند ذكر عدد المقاطع التي نظم بها قوريللونا.

واليك مقطوعة من إحدى قصائد قوريللونا عن غارة التتار:

إن الشمال يائس ينوء تحت أثقال الحرب، فإن أهملت يارب فسيهلكوني ثانية. فإذا غزاني التتار يا رب، فلِمَ احتمي مع الشهداء؟ فإذا كانت سيوفهم ستهلكني، فلماذا أمسك صليبك العظيم؟ وإن أنت سلمت مُدُني اليهم، فأين عظمة كنيستك المقدسة؟ لما ينقضي عام منذ وفدوا علينا، وأهلكونا وأخذوا أطفالي في الاسر، وهم واحسرتاه يهددون أرضنا بإخضاعها مرة ثانية.

## كتابات لا يُعرف مؤلفوها

ونختم حديثنا عن القرن الرابع بعدد من المؤلفات لا نعرف شيئاً عن كتّابها مثل السِّير المسيحية القديمة للرسل، التي نقلت من اليونانية الى السريانية في القرن الرابع، ومنها سيرة يوحنا بن زَبَدَي، وأعمال متى وأندراوس، ووعظ فيليبس في قرطاجنة، وتعاليم سمعان كيفا (بطرس) في مدينة روما، وسيرة لوقا الانجيلي.

وكذلك الأسفار المحذوفة من أدب الانجيل وأهمها بالسريانية أعمال بيلاطس، والمراسلة التي كانت بين بيلاطس وهيرودس، وخطاب الأسقف يعقوب المقدسي الى قوا دراتوس عن تقرير بيلاطس الى طيباريوس في محاكمة المسيح، وكتاب طفولة المسيح والراجح أنه يرجع الى أصل سرياني. وهناك ترجمة لهذا الكتاب نقلها السريان النساطرة الى أرمينيا حوالي سنة ٥٩٠، وتاريخ ولادة العذراء وتنشئتها، والغالب أيضاً

أن انجيل توما قد كتب أصله بالسريانية ، وإنجيل يعقوب ، وكتاب عودة العذراء ، ورؤيا تيوفيل الاسكندري عن إقامة العائلة المقدسة في مصر .

وكذلك ظهرت مؤلفات من أدب الرؤيا ، منها انجيل الرسل الاثنى عشر ، والراجح أن أصله موضوع بالسريانية . أما القول بأن أصله موضوع في اللغة العبرية ، وعنها ترجم الى اليونانية ، ثم نقل من اليونانية الى السريانية فلا أساس له ، ومنها رؤيا بولس والغالب أنها ترجمت الى السريانية عن اليونانية ، ثم ترجم النص السرياني الى الأرمنية في القرن السادس . أما كتاب عزرا الرابع المعروف برؤيا عزرا — والذي علّمه لتلميذه كاربوس في الصحراء عن حكم الاسماعيليين فالمؤكد أنه يرجع الى العصر الاسلامي .

## تاريخ اقسام الكنيسة

ظهرت المسيحية في وقت كانت الثقافة اليونانية مزدهرة فيه ، وكانت مدرسة الإسكندرية هي المقرُّ الرئيسُ لهذه الثقافة في العالم ، فلما انتشرت المسيحية في مصر كانت الأفلاطونية الحديثة هي مذهب اليوم — إن صحَّ هذا التعبير — عندما بدأ المسيحيون في الاسكندرية في الاتصال بالفلسفة اليونانية . وكان كليمانس الاسكندري أول عالم حاول التوفيق بين الفلسفة واللاهوت المسيحي ، ولكن اجتهاده العلمي كان سبباً في تجريده من منصبه.

وحاول أوريجين تقليد أفلوطين نفسه إخضاع فلسفة عصره حتى تساير النظرية المسيحية ولكنه لقي في سبيل ذلك بعض الصعاب ، مع أن العالم المسيحي كان ينظر الى هذا التنقيح بعين ملؤها الاطمئنان والرضى ، فلما قام كليمانس وأوريجين بتكوين مدرسة مسيحية ذات لاهوت فلسفي لهذا الغرض ، أوجست كنائس العهد القديم خيفةً من هذه المدرسة ونظر اليها الفلاسفة نظرة ريبة . بل لقد كان فريق من المسيحيين في الاسكندرية يرمقون هذه المدرسة شزراً . ولكن المدرسة — على الرغم من ذلك — بلغت شأواً بعيداً وأحرزت شهرةً واسعة ، حتى أخذت تغطي على النظام الأسقفي القديم . ولكن ذلك لم يدم طويلاً فان الشراك قد نصبت لأوريجين ، وحيكت حوله المكائد حتى اضطرَّ أخيراً الى ترك الاسكندرية والرحيل عنها الى فلسطين ، وهناك أسس مدرسة في قيصرية على نمط مدرسة الاسكندرية ، ولكنها لم تبلغ ما بلغته تلك . ومهما يكن من شيء ، فقد لعبت هذه المدرسة دوراً هاماً في تاريخ الكنيسة السورية ، ففيها كان يتركز النشاط اللاهوتي ، وشجعت على قيام مدارس أخرى من هذا النوع ، وكانت أولى هذه المدارس تلك التي أسسها مليطون في انطاكية حوالي سنة ٢٧٠ م .

نشأت مدرسة انطاكية في جوٍّ كان يسوده تفكير بولس الشمشاطي أسقف انطاكية حوالي سنة ٢٦٠ م . الذي كان يقول إن المسيح مجرد إنسان وإن كان قد هُيِّئَ ليرقى تدريجياً الى مرتبة اللاهوت . ومع انه قد عُقدت بانطاكية ثلاثة مجامع فيما بين سنتي ٢٦٤و٢٦٩ للبحث في آراء بولس هذا ، وأن هذه المجامع قد انتهت الى إدانته ، فان حكم

الحرمان لم ينفذ إلا سنة ٢٧٢ عندما كفت زنوبيا التدمرية عن حمايته . وهذا يدل على عدم التحمس لمناهضة هذه الآراء التي أعلنها بولس الشمشاطي ، يؤكد ذلك أن هذه الآراء لم تندثر وإذا ظهرت ثانية في أوائل القرن الرابع على يدي أريوس الاسكندري المتوفى سنة ٣٣٦ وكان قد تلقنها عن أستاذه لوقيان الراهب الانطاكي .

ظهر آريوس في وقت كانت كثرة المسيحيين فيه تعتقد أن المسيح ابن الله ، وأنه انبثق عن الآب بطريق الفيض ، وليس بطريق الأبوة الانسانية ، وأن المسيح إله ، لأن الفيض لابد أن تكون له نفس طبيعة المصدر الذي فاض منه ، وأن الابن نتج عن الآب في الأزل وقبل أن تخلق العالمين ، وأن الابن أو الكلمة هو الواسطة في الخلق . فلم يتقبل آريوس هذه الآراء . وقال إن الله خلق المسيح من لا شيء ، وأن المسيح إنسان ، وأنكر أن يكون إلهاً أو شخصاً إلهيًا ، وقال إنه لا يجوز لذلك أن تسمى أمه بـ والدة الله » وتبعه جماعة من المسيحيين كانوا يسمون بالأريوسية .

وخاف رجال الدين أن يستفحل أمر آريوس وينتشر مذهبه فاجتمع الأساقفة في مجمع ديني عقد بمدينة نيقية سنة ٣٢٥ م . في أيام الملك قسطنطين واجتمع به ٣١٨ من آباء الكنيسة . وقد أسفر هذا المجمع عن دحض مذهب آريوس ، وانتهى الأساقفة فيه إلى وضع الأمانة النيقية ضد مذهب آريوس أثبتوا فيها عقيدة المماثلة المطلقة بين الابن والآب بمعنى أنه لا فرق بين المسيح وبين الله من جهة الألوهية وكانت نتيجة المعركة أن أصبحت الكنيسة الشرقية تقدم مذهبها طبقاً لفلسفة الاسكندرية ، وتبعها الجزء الأعظم من أنصار الكنيسة الغربية ، ومع ذلك فقد بقي القوط في إيطاليا وجنوب فرنسا وأسبانيا على مذهبهم بالآراء الاريوسية ، حتى ظهر « أبولليناريوس » في النصف الثاني من القرن الرابع ، فعاود إعلان هذه الآراء ، ونسب إلى المسيح جسماً إنسانياً ، وكان ينكر عليه النفس العاقلة وإن كان قد نسب اليه الاتصاف بالكلمة الإلهية أو العقل الإلهي ، فربط المسيح يتوسط بين الانسانية والإلهية بأن ركبه من جزء إلهي وجزئين إنسانيين .

وكانت مدرسة إنطاكية قد استطاعت خلال هذه الفترة أن تخرج جماعة من

المفكرين المسيحيين ، الذين كانوا قد اقتنعوا بآرائها وكانت هذه المدرسة لا تميل الى الصوفية المسيحية ، وتُغلِّب العنصر الانساني في المسيح على العنصر الإلهي ، وتكلم علماؤها عن الابن الذي تولد عن الآب كأنه قد سبق الابن كما تسبق العلة المعلول ، وأن الابن لهذا يكون أقل خلوداً من الآب ، وليس في الخلود درجات لأن ذلك يجعل الله قابلاً للتغيير : لأنه كان منفرداً في فترة من فترات الخلود ثم أصبح أباً ، والعلة الاولى أو الإله الحق عند الفلاسفة غير قابل لأدنى تغيير ، واهتموا بالمسيح من الناحية التاريخية ، فلما شرحوا الانجيل لم يحملوا كلامه أكثر مما تحتمله ، ورأوا في صلب المسيح النهاية المقدورة لرجل ، ولم يروا فيها أنها وسيلة للخلاص من الخطيئة .

وقد ظهرت آراء مدرسة إنطاكية مرة أخرى بشكل عملي في النصف الأول من القرن الخامس ، أي بعد قيام آريوس بقرن تقريباً ، حينما عُيِّن يوحنا أسقفاً على إنطاكية سنة ٤٢٩ م . وعُيِّن نسطوريوس أحد أصحاب يوحنا أسقفاً على القسطنطينية في نفس العام . فقد خطب نسطوريوس عقب توليته خطبة قال فيها : إن يسوع إنسان ، وإن تجسُّم المسيح عبارة عن مصاحبة بين الكلمة الأبدية والمسيح الإنساني ، وإن مريم أم المسيح ولا يصح لذلك أن تسمى « والدة الله » . فأغضبت هذه التعاليم عدداً كبيراً من الأساقفة والقسس لا سيما في أوروبا ومصر . وكان أشد الأساقفة سخطاً عليه كيرلس أسقف الاسكندرية الذي نشر اثنا عشر فصلاً سماها لعنات ، لعن فيها مذهب نسطوريوس ، وحمل فيها على نسطوريوس نفسه وعلى كل المدرسة الانطاكية ، ووقف يوحنا أسقف أنطاكية يناصر نسطوريوس فرداً على اللعنات الاثنتي عشرة التي نشرها كيرلس وحقّرها أشد تحقير .

واشتدت المناقشة بين يوحنا الانطاكي وبين كيرلس الاسكندري حتى دعى تيودوسيوس قيصر القسطنطينية في آخر عام ٤٣٠ م . أساقفة مملكته من كلا الحزبين الى مجمع عقد في افيزوس بالأناضول في عيد فصح سنة ٤٣١ وبكّر كيرلس وأصحابه في الحضور الى المجمع قبل خصمه يوحنا ، وقد أفاده هذا التبكير فاستطاع أن يحمل المجمع على رفض مذهب نسطوريوس قبل أن يصل صاحبه يوحنا . فلما وصل يوحنا مع أصحابه غضب عندما علم بما حدث ، وعقد هو وأصحابه مجمعاً مستقلاً في افيزوس جردوا فيه كيرلس وأصحابه من رتبهم الكنسية .

وفوق كل ذلك ولمّا يصل مندوبو البابا وأسقف روما ، الذين كانت لهم رئاسة المجمع ، فلما وصلوا شايعوا كيرلس وأقرّوه على رأيه ورفضوا مذهب يوحنا وأصحابه .

ولما انتهى خبر ما وقع في افيزوس الى القيصر تيودوسيوس غضب ، وبعث مندوباً بمرسوم يعزل به كيرلس ونسطوريوس . ثم أقيم على القسطنطينية أسقفٌ اسمه مكسيميانوس خلفاً لنسطوريوس ، فظهر أنه من أصحاب كيرلس . وحاول القيصر أن يصلح بين يوحنا وبين كيرلس فلم ينجح لأن كيرلس اشترط لذلك عزل نسطوريوس ، والاعتراف بمكسيميانوس أسقفاً على القسطنطينية . ولم يتمّ الصلح بينهما إلاّ في سنة ٤٣٣ على يد الأسقف أقاقيوس أسقف مدينة بيرا إحدى مدن سوريا . وكان بولس أسقف حمص — وهو أكبر أساقفة سوريا سناً — هو رسول يوحنا الى كيرلس للاتفاق معه على مسائل الخلاف ، وأرسل معه رسالة تشتمل على نصوص الاتفاق .

وفي نفس ذلك الوقت كان النساطرة قد ازدادوا اعتقاداً بأن معارضيهم قد حادوا عن المنطق : إذ فرضوا أن النفس العاقلة والكلمة قد اندمجتا في المسيح أو اتحدتا معاً . فنبذوا الكنيسة الرسمية وكوّنوا كنيسة لا تتعارض مع هراطقة افزوس . ولكن الدولة كانت تؤيد الكنيسة الرسمية . فأخذ النساطرة يلقون مختلف أنواع الاضطهاد ، وبخاصة في أنطاكية والاقليم الذي كان يميل الى الثقافة اليونانية في سوريا ، واعتُبر النساطرة فرقة آبقة ، ولم تجد النسطورية لها مجالاً إلاّ بين المسيحيين الذين يميلون الى الثقافة السريانية .

وبعد ما يقرب من نصف قرن من إنشاء مدرسة أنطاكية أي حوالي سنة ٣٢٠ أُسّست مدرسة نصيبين الحديثة في وسط لغته السريانية ، ولهذا كانت الدراسة فيها باللغة السريانية فوُضعت تراجم سريانية للكتب اللاهوتية التي كانت تدرس في أنطاكية . وكانت تُدرس فيها اللغة اليونانية أيضاً ، وبذلك أصبح المسيحيون الذين يتكلمون السريانية على اتصال بالحياة الكنسية العامة .

ولكن مدرسة نصيبين لم تستمر طويلاً ، وإذ اضطرت الى الانتقال الى الرُّها سنة ٣٦٣ حينما سُلِّمت مدينة نصيبين للفرس تنفيذاً لشرط الهدنة بعد الحرب الطائشة التي بدأها يوليانوس ، وكذلك نزح رجال كنيسة نصيبين الى الرُّها ، وافتتحوا بها

مدرسة سنة ٣٦٣ . وبهذا أصبحت الرُّها مركز الكنيسة غير الرسمية للمتكلمين بالسريانية داخل حدود الامبراطورية البيزنطية . وجمعت الرُّها شمل أولئك الذين لم يوافقوا على قرارات مجمع افزس ، ولهذا أغلقها الامبراطور زينون سنة ٤٣٩ بحجة أنها ذات صبغة نسطورية قوية . فهاجر النساطرة وعلى رأسهم برصوما أحد تلاميذ إباس وأكبر أعلام الرُّها ، وارتحلوا عبر الحدود الفارسية . وتمكن برصوما من إقناع « فيروز » امبراطور الفرس بأن الكنيسة الارثوذكسية الرسمية كنيسةٌ يونانية ، وأن النساطرة قد هجروا الامبراطورية البيزنطية لسوء المعاملة التي لاقوها . ولهذا الاعتبار قوبل النساطرة بالترحاب في بلاد الفرس ، وبقوا مخلصين للعرش الفارسي في الحروب التي قامت بعد ذلك مع الامبراطورية الرومانية . وأعاد النساطرة فتح مدرسة نصيبين ، فأصبحت مركز الحركة النسطورية وخلعت على المسيحية مسحةً شرقية ، وانتشرت البعثات النسطورية تدريجيًا في كل وسط آسيا وجنوبها ناحية البلاد العربية . والراجح أن المسيحيين الذين كانوا في الجزيرة العربية عند ظهور الاسلام كانوا من النساطرة .

أما اضطهاد الدولة البيزنطية للنساطرة فلعله تسحطه في قصة أوطيخي (اوتيخيوس) : الذي كان من أصحاب الطبيعة الواحدة ، والذي أعلن سنة ٤٤٤ م ، أن الابن الاول لم يأخذ من مريم شيئًا ، ولكنه استحال وتغيّر وصار لحمًا ودمًا وجاز في سهم من غير أن يأخذ منها شيئًا . فلما بلغت مقالته الى رئيسه « فلافيانوس » أسقف القسطنطينية عزله ، فالتجأ أوطيخي الى ديوسقوروس الذي خلف كيرلس على كرسي الاسكندرية ، فأعاده وحرّض الامبراطور ثيودوسيوس الثاني على عقد مجمع يفرض عليه محو النسطورية نهائيًا

واجتمع المجمع في افيزوس مرةً ثانية في أغسطس سنة ٤٤٩ وأفلح ديوسقوروس في أن تكون الكثرة في هذا المجمع الى جانبه . وانتهى المجمع إلى إعلان براءة أوطيخي من تهمة الهرطقة وإعادته الى مركزه وعُزل فلافيانوس وعدد غيره من الاساقفة رأسهم المدعو الرومان وغيرهم ممن قاموا بالمعارضة في المجمع . وسُمّي هذا المجمع « مجمع اللصوص » .

ورفض الامبراطور ليو الاول أن يعترف بالمجمع وأوقف ديوسقوروس وطلب عقد

مجمع كبير . وترى [illegible] أن ديوسقوروس فقد بوفاة تيودوسيوس الثاني أكبر عضد له .

ومع أن نسطوريوس قد عُزل ، فإن الكنيسة السريانية قد وجدت نفسها أمام مشكلة فلسفية [illegible] الاعتراض عقلي : فإنه اذا كانت الكلمة والنفس العاقلة في المسيح قد اتحدتا معاً [illegible] أن النفس العاقلة أو الروح قد انحرفت في مصدرها [illegible] الكلمة فقد سكنت جسداً حيوانياً فلا [illegible] إنسانية المسيح كذباً . ولهذا شعرت الكنيسة في قرارة نفسها بأن مقالة الدين لا تتفق والمنهج العلمي الصحيح ، أو على الأقل لا تتفق مع العلم الذي كان معروفاً في ذلك الحين . وكان أعداء الكنيسة هم المتحمسين لعلم الذين يدّعى [illegible] .

[illegible] معارضة أخرى أيد أصحابها فكرة الاتحاد بين الكلمة والنفس العاقلة في المسيح . وقالوا إنه بهذا الاتحاد بينهما يحفظ ناسوت المسيح كاملاً [illegible] كاملاً [illegible] ويكون الاتحاد بمثابة شيء لا ينفصل ، وبهذا تحرزوا من الفكرة النسطورية .

[illegible] هذه الفكرة ، وهي طلقة أوطيخي وبعض ما دار في مجمع أفسوس الثاني الذي عقد سنة ٤٤٩ م ، سبباً في ازدياد الرغبة الى عقد مجمع مسكوني [illegible] الرغبة التي كان يتجاهلها ويحوزها تيودوسيوس الثاني الأوطيخي النزعة ، والتي [illegible] خلفه مرقيان بتحقيقها . فاجتمع في كلقدونية في الثامن من أكتوبر سنة ٤٥١ م تحقيقاً لرغبة الامبراطورية ما بين خمسمائة وستمائة كلهم من الأساقفة الشرقيين ، عدا مندوبين من الرومان واثنين من أساقفة افريقية . وطلب أسقف روما أن تكون رئاسة المجمع لمندوبيه ، وأصر على وجوب بطلان كل ما لا يوافقون عليه . وكانت الجلسة الأولى صاخبة عنيفة ، وكانت العبارات البذيئة تقذف [illegible] . وعرضت نتائج مجمع أفسوس الثاني [illegible] بساط البحث فاستعرضت جميعها ، وانتهى الأمر الى عزل بطلها ديوسقوروس في الجلسة الثالثة .

وقد طلب الامبراطور الى المجمع أن يرسم حدود العقيدة الصحيحة . ولكن المجمع لم يشأ أن يصدر تحديداً جديداً ، وإنما اكتفى بتأكيد ما صدر عن مجمع نيقية والقسطنطينية خاصاً بالعقيدة ، والتحديد الذي وضعه مجمع أفسوس الأول الذي عقد سنة ٤٣١ ، مع قبول الوضع الذي جاء في كتاب ليو الأول الى فلافيانوس خاصاً بطبيعة المسيح ، كما رفض

كلاً من عقيدتي النسطورية والارطيخية ، وانتهى الى الاعتقاد بأن المسيح طبيعتين كل منهما كاملة في ذاتها متميزة عن صاحبتها ، ومع ذلك متحدتان في شخص واحد هو في وقت واحد إلهٌ وإنسان .

وقد تبعت الكنيسة المصرية عقيدة أصحاب الاتحاد أو أصحاب الطبيعة الواحدة ، الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم اليعقوبية ، نسبةً الى يعقوب البرذعي ، وكان لهم في سوريا أتباع كثيرون . وكانوا كالنساطرة موضع اضطهاد الامبراطور وكنيسة الدولة ، ولكنهم لم يعتبروا الامبراطورية البيزنطية ، بل بقوا داخل حدودها كتلة عامّة ولكنها ساخطة أشد السخط . وكانوا كالنساطرة يميلون الى ترك لغة مضطهديهم ، فاستعملوا اللغتين القبطية في مصر والسريانية في سوريا .

والى جانب هذه المدارس الثلاث كانت هناك مدارس أخرى أثرت الى حدّ ما في هذا النزاع تأثيراً كان غير مباشر في بعض الأحوال ، منها :

١ — المدرسة التي أنشأها القديس أبّا في سلوقيا سنة ٥٥٥ وهو من المتحولين عن الزرادشتية الى المسيحية النسطورية ، وقد أنشأ هذه المدرسة حين كان جاثليقاً على النساطرة وجعلها على نمط مدرسة نصيبين .

٢ — المدرسة الزرادشتية التي أنشأها كسرى أنو شروان امبراطور فارس في جنديسابور بخوزستان ، وكان يعمل فيها عدد من فلاسفة اليونان الذين هاجروا الى فارس حينما أغلق يوستنيان مدارس أثينا ، وكذلك عدد من أطباء النساطرة ، ومن بين من نشأوا في هذه المدرسة الحارث بن كلدة وابنه النضر الذي أورد ابن سينا اسمه في القانون الخامس

٣ — مدرسة حرّان الوثنية ، ونحن لا نكاد نعرف عن تاريخ تأسيسها شيئاً وكل ما نعرفه أن حرّان كانت مركزاً للتأثير اليوناني منذ عصر الاسكندر . ثم أصبحت مأوى للديانة اليونانية القديمة عندما أصبح العالم اليوناني كله مسيحيّاً . ومع أنه يظهر أن حرّان قد ورثت شيئاً عن الديانة البابلية القديمة التي بعثت أخيراً في القرون الأولى للمسيحية فقد طغى على ذلك تقدم الوثنية بعد أن نفحتها الإفلاطونية الحديثة .

## كتاب السريان

### في القرن الخامس

كانت المنازعات التي قامت بين المسيحيين حول طبيعة المسيح ومشيئته سبباً في ازدهار الأدب السرياني في هذا العصر، وظهور أجود ما عرفه السريان من آدابهم، ونستطيع أن نقول إن العصر الذهبي للأدب السرياني يبدأ منذ انقسم المسيحيون الى جماعتين، تنسب إحداهما للمسيح طبيعتين، وتنسب له الأخرى طبيعة واحدة. وعاد أصحاب الطبيعة الواحدة فانقسموا الى قسمين: أصحاب الطبيعة الواحدة والملكية. والملكية هم أصحاب الكنيسة الرسمية. ويلاحظ مع ذلك أن هناك حداً فاصلاً في السريانية بين أصحاب الطبيعة الواحدة في الغرب وأصحاب الطبيعتين في الشرق: فقد اتخذ كل جماعة منهم لهجة تختلف عن لهجة الجماعة الأخرى، ومن المحتمل أن يكون ذلك نتيجة الموقع الجغرافي؛ ولكن الأرجح أن ما كان بينهما من نزاع على العقيدة قد زهّد كل واحد منهما فيما كان عند الآخر، فاستعمل كل منهما حروفاً مختلفة في الكتابة، ونظاماً متبايناً للحركات.

ومنذ بداية القرن الخامس يبدأ انقسام كتّاب السريان الى جماعتين تناصر كل جماعة منهما مذهباً من المذهبين المسيحيين الرئيسيين، ولذلك فإننا سنفرد للحديث عن الكتّاب في كل قرن من القرون التالية قسماً خاصاً، فنبدأ عادةً بالحديث عن كتّاب أصحاب الطبيعة الواحدة ثم ننتقل الى الحديث عن كُتّاب أصحاب الطبيعتين أو النساطرة.

### ربولا

كان ربولا هو أول من ظهر من كُتّاب أصحاب الطبيعة الواحدة في هذا القرن. وُلد في قنسرين [1]، وكان أبوه كاهن الأصنام فيها، ويقولون إن يوليانوس قد ارتدّ عن المسيحية الى الوثنية على يديه، حينما مرّ بقنسرين عند خروجه لحرب الفرس. وكانت أمه مسيحية، فأخذت تحبّب إليه دينها، ثم زوّجته من مسيحية.

(١) قنسرين اسم سرياني مركب من كلمتين (قن + نسرين) ومعناه عش النسور. ومكانها الآن خراب تقوم عليه قرية صغيرة تسمى باسمها. وقد زعموا أنها سميت كذلك لأن قبر نبي عليه السلام يقع في جانبها.

عرف العلوم اليونانية ، ودخل سلك الوظائف حتى وصل الى وظيفة رئيسية ، وكانت أمه وزوجه مسيحيتين حيث اقرناه باعتناق المسيحية ، يعاونهما في ذلك أبرا ام راهب دير مرقبانوس القريب من قنسرين . وأخيراً تعمّد على يدي أوسابيوس أسقف قنسرين ، وأقاقيوس أسقف حلب . وحضر في قداس استشهاد القديسين كوسماس ودميانوس في حلب. ثمّ أراد أن يؤكد ايمانه فسافر الى فلسطين حاجًّا ليتعمد في نهر الاردن . فلما عاد أراد أن يأخذ نفسه بتعاليم الدين الجديد ، فعمل بقول الانجيل « اترك مالك واتبعني » فترك زوجته وأولاده وأعطى أمواله الفقراء ، ودخل دير أبراهام بالقرب من قنسرين ، وبقي به حتى مات ديوجين أسقف الرها في أوائل سنة ٤١١ فاختير خلفاً له سنة ٤١٢ فبدأ سياسته كأسقف بمقاومة الهرطقة القدماء الذين حاربهم افرام قبله ، والذين كان لا يزال لهم مشايعون في الرها .

وقد اشترك ربولا في النزاع الديني الذي كان قائماً في أيامه ، فحضر مجمع افسوس الأول سنة ٤٣١ وكان في أول أمره الى جانب يوحنا الانطاكي مشايعاً لنسطوريوس ضد كيرلس ، ولكنه عاد فانضم الى الجانب الآخر ، وأصبح من أشد المتحمسين لمذهب كيرلس وأصبح من أقرب أصدقائه ، وبذلك اعتبره أتباع نسطوريوس عدوّاً لهم يحاربونه . فقد هاجم نسطوريوس في القسطنطينية في خطاب مطوّل ألقاه أمام ثيودوسيوس الثاني . وقد بلغت به الخصومة حدًّا دفعه الى احراق كتابات ثيودور المبسويستي ، وقد لقبه إباس في خطابه الى ماري بـ « طاغية الرها » . وكان أندرو الشمشاطي يشكو من اضطهاد ربولا المناوئين له في خطاب بعث به الى الاسكندر أسقف هيرابوليس . ومات في أغسطس سنة ٤٣٥ .

وكان يجيد اللغتين اليونانية والسريانية فترجم من اليونانية عدداً من الكتابات ، أهمّها ترجمة العهد الجديد وهي الترجمة المعروفة باسم البسيطتا . وكذلك ترجم الى السريانية رسالة كيرلس التي وجهها الى القيصر ثيودوسيوس عن الايمان ، أرسل اليه كيرلس نفسه ، وترجم اناثيمات كيرلس الاثنتي عشرة وأضاف اليها شرحاً يتضمن دفاعاً عنها . والخطبة التي ألقاها هو في القسطنطينية يهاجم فيها نسطوريوس وينفذ فيها أخطاءه .

وقد بقي لنا من كتاباته السريانية : ثلاث مجموعات من الرسائل والقوانين والأوامر الموجهة الى الرهبان : عنوان الأولى «قوانين» ، وعنوان الثانية «تنبيهات خاصة بالرهبان» وعنوان الثالثة «أوامر وتنبيهات الى رجال الدين» ، وموعظة عن إخراج الصدقات على أرواح الموتى ، ووقف الاحتفال بالأعياد في مناسبات ذكراهم ، وعدد من التراتيل الطقسية اليعقوبية مقسمة على نظام الأنغام الكنسية الثمانية .

وقد كانت سيرة ربولا تذكر أنه كتب باللغة اليونانية عدداً من المقالات : ٤٦ رسالة موجهة الى القسس والأباطرة والأشراف والرهبان ، وأنه يعتزم ترجمتها الى اللغة السريانية . ومن هذه الرسائل رسالته الى اندرو السميساطي يهدم فيها رسالته في الطعن على لعنات كيرلس الاثني عشرة ، ورسالته الى كيرلس بشأن تيودور المبسوسي ، وكتابه الى جليانوس أسقف قاريقي عن الرهبان والجماعة الذين يعتبرون الأسرار المقدسة فيتناولون القربان كأنه طعام عادي . وقد نقلت هذه الرسالة الأخيرة والفصل الرابع من الكتاب العاشر من تاريخ زكريا ، وفي تاريخ ديونسيوس التلمحري . وله كذلك كتاب باليونانية عنوانه «أنت أيها المسيح» .

## سيرة ربولا

وبعد وفاة ربولا بوقت قصير قام مؤلف رهاوي مجهول يرجح أنه أحد شمامسة أسقفيته بتسجيل سيرة ربولا في رسالة تعد من روائع الأدب السرياني أبرز فيها صورة واضحة تمثل شخصية ربولا وما عرف عنه من عطف على المساكين وانكار للذات وحياة كلها حرمان وتقشف

## سيرة الإنسان التقي

وفي ذلك العصر أيضاً ظهرت سيرة سريانية لمؤلف مجهول عنوانها «رجل الله» أو «الإنسان التقي» . وقد لقيت هذه السيرة من الذيوع والانتشار ما لم تلقه سيرة قديس آخر ، فقد نقلت هذه السيرة عن السريانية — وهي اللغة الأصلية التي ألفت فيها — الى اليونانية واللاتينية ، ثم انتقلت بعد ذلك الى جميع الآداب الأوربية المسيحية ، ومن المرجح أيضاً أنها نقلت الى الأرمنية والعربية والحبشية .

وملخص هذه السيرة أنه كان في روما شاب من أبناء العظماء اسمه « الكسيوس » وأراد أبوه أن يزوجه ، فلما كان يوم العرس هرب الشاب من عروسه ومن بيت أبيه وسافر الى مدينة الرها ، وبقي فيها زاهداً يصلي ويعيش على ما يجود به عليه الخيرون ، يتبلغ منه بكسرة خبز وقليل من البقل ، ثم ينفق ما يبقى منه بعد ذلك على غيره من المحرومين .

وكان ذلك الرجل ينصرف بوقته كله في الكنيسة لا يكاد يبرحها ، فعرف فيه خادم الكنيسة رجلاً زاهداً صالحاً تقياً لم يشهد في حياته رجلاً في مثل سيرته ، فأنس اليه ، وحبس على نفسه مراقبته ومتابعة حركاته . ثم إن الرجل مات ذات يوم ودفن ، فأسرع خادم الكنيسة وأخبر أسقف المدينة — وكان ذلك الأسقف هو ربولا — وقص عليه كل ما عرفه من أمره ، وكان صيته قد سبقه الى ربولا ، وأراد ربولا أن يحتفل بتشييع جثمانه بما يليق برجل تقي ورع ، فتوجه الى المقابر لاستخراجها للاحتفال بتشييعها . فلما فتح قبره لم يجد فيه إلا الخرق التي كانت تكسو ذلك الانسان التقي .

هذا هو ملخص السيرة في صيغتها السريانية ، ومع أن الحقائق التاريخية تصطبغ عادة بالصبغة القصصية متى بلغت أفواه العامة فتختلط بالكثير من الأشياء العجيبة — وبخاصة اذا كانت هذه الحقائق سرداً لحياة قديس — فإن هذه السيرة لم تخضع لهذه القاعدة : وكل ما فيها من الأشياء العجيبة هو الجزء الخاص بزيارة القبر واختفاء الجثة وبقاء الخرق التي كانت تكسو ذلك الانسان التقي ، وأغلب الظن أن هذه الفقرة قد زيدت بعد وضع السيرة نتيجة لانتقالها الى الآداب الاوروبية .

وكان من أثر انتشار السيرة هذا الانتشار الكبير أن الزيادة لم تقف عند هذا الحد ، فإن العامة تحب أن تسمع العجائب والمعجزات ، وكان لا بد من إشباع نهمهم ، وإطلاعهم على ما كان من أمر ذلك القديس الذي اختفت جثته من قبره ، فكان لا بد إذاً من إعادة سبك السيرة ليضاف اليها قسم آخر مجاله : أن ذلك الانسان التقي قد بعث بعد ذلك ، فلما قام من قبره عاد الى مدينة روما ثانية ، وعمل مع العبيد في دار أبيه ، ولكن أباه لم يعرفه إلا بعد موته ثانية .

ومعروف ان السيرة نقسميها تم نسخها في القرن السادس على الأرجح، أي في عصر قريب من عصر أبطالها .

ولعلّ أوضح دليل على أن القسم الأول منها هو الاصل أن المخطوطات القديمة الباقية تخلو من القسم الأخير وتنتهي بوفاة الكسيوس في الرُّها .

ثم ان القسم الأول سرياني أصلي في فكرته ، كامل قائم بذاته بينما القسم الثاني من أصل أجنبي ، وظاهر انه لم يلحق بالسيرة إلاّ في وقت متأخر . ولعلّ ذلك نتيجة للخلط بين هذه السيرة وسيرة قديس آخر .

وأقدم مخطوطات هذه السيرة ثلاث ، واذا عرفنا ان تاريخ نسخها يرجع الى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس وعلمنا أن ربولا يوصف فيها بالطيّب مرة والقديس أخرى ، لرجحنا أن هذه السيرة قد كتبت بعد وفاة ربولا سنة ٤٣٥ وأنها ترجع على الأرجح الى الربع الثالث من القرن الخامس . أما القسم الثاني فيغلب على الظن أنه كتب في وقت متأخر جداً ، يدل على ذلك أن نسخ المخطوطات التي تشتمل عليه يرجع أقدمها الى القرن التاسع ، والأمر الذي لا شك فيه أن هذا القسم لم يكتب إلاّ بعد وفاة جميع من شاهدوا وقائع هذه السيرة بزمن طويل أي حوالي أواخر القرن الثامن .

## بالَيْ

اسم لشاعر لا نكاد نعرف شيئاً عن شخصيته أو تاريخ حياته ولكنه كان يتبع الشعر الكنسي السرياني القديم بعد إفرم ، وكل ما نعرفه عنه مستمد مما جاء في أحد مداريشه ومما رواه ابن العبري في قطعة ذكرها السماني في كتاب المكتبة الشرقية انه رسم أسقفا ( خور أسقفوس ) على منطقة في أبرشية حلب بعد زمان إفرم وقبل مجمع أفسوس الأول سنة ٤٣١ م .

أما عن أعماله الأدبية فقد بقي له من القصائد الثابتة النسبة اليه من كتابات القرن السادس ، خمسة مداريش في ذكرى وفاة أقاقيوس أسقف حلب الذي يقال إنه كان صاحب الفضل الأكبر في تحويل ربولا عن الوثنية الى المسيحية . ويقال إنه عُمّر مائة سنة وعشر وتوفي سنة ٤٣٢ م

ومطران سادس في تدشين كنيسة جديدة بمدينة قنسرين . ونستطيع أن نستنتج من مداراشه أنه كتب في القرن الخامس ، وكان مسرحها في الشمال الغربي من سوريا بين الفرات وشاطئ البحر المتوسط . وله ميامر على المقاطع الخمسة ، منها قصيدة عن القديسين ثاوسبتوس وبروطوروا ، وأخرى عن التدليس ... ، ومرثية في مقتل أورياس ، وقصيدة في رثاء هارون أخي موسى على وزن المقاطع الأربعة .

أما من الناحية الطقسية فانه يقترن بالسلالم والبراعيث في الشعر ذي المقاطع الخمسة ، وينسب إليه نشيد ينشده اليعاقبة والموارنة في صلاة الليل عنوانه « راحم الخطاة » ، ويضاف هذا النشيد الى افريم أيضاً . ويلاحظ في الأشعار التي تنسب أحياناً الى بالي وأحياناً إلى افريم أن المخطوطات المتأخرة تنسبها الى بالي ، ومنها قصيدة كبيرة في تاريخ يوسف الصديق مكونة من ١٢ ميمرا تعد من أروع ما كتب في الشعر السرياني .

## سمعان العمودي

كان سمعان هذا أول رهبان الأعمدة ولهذا لقب بالعمودي ، وقد ذاعت شهرته عند أصحاب الطبيعة الواحدة من المسيحيين في المشرق . ولد سنة ٣٩٠ م بقرية الصيص بالقرب من مدينة نيقوبوليس على حدود سوريا الشمالية (١)

وكان أبوه — تيا يقولون — من سراة القرويين المسيحيين . كان في صغره يرعى غنم أبيه فاعتاد الوحدة والصمت منذ الصغر ، وترعرع قويًّا جميل الطلعة ولكنه كان قصيراً . وكان أثناء رعيه يجمع أنواع البخور ويحرقها قرباناً ، ولكنه كان لا يدري لمن يقربها . وربما كان يفعل ذلك منقاداً الى عادة وثنية قديمة دون أن يفهم . لأنه الى أن تعمد لم يكن ذا ثقافة دينية ... يقولون إن ذهنه انصرف الى الناحية الدينية لأول مرة عندما ذهب مع أبويه مرة الى كنيسة قريته فسمع أمثل الانجيل الذي يتحدث عن سعادة الفقراء والمحرومين ... كثيرا . ويقولون إنه تأثر ، بعد ذلك رؤى دفعته الى ترك العالم والسير حثيثاً في طريق التنسك . وتسجل له السيرة السريانية بعض العجائب في هذه المرحلة الأولى من حياته نورد هنا واحدة منها لنصور للقارىء هذا النوع من العجائب ؛ فيروي

(١) اسمها الآن ... اصلاحية وهي ... سوريا وتركية وهي غير الصيص المعروفة الآن في اقليم قيليقية

صاحب السيرة أن سمعان اشتهى السمك بعد صيام دام عشرين يوماً ، فذهب الى ابنة سماك كان يصيد في بحيرة قريبة وطلب اليها أن تبيعه خمسة ارطال من السمك . فتقول السيرة ان ابنة السماك أقسمت له كذباً أن ليس عندهم سمك فانصرف سمعان ، ولكن قوة خفية اشتركت على السمك وكذلك على الفتاة ، فأخذ السمك يتقلب زاحفاً خلف سمعان في الطريق والبنت تعدو من خلفه ، فلما رأى سمعان ذلك صرف تلك القوة التي استولت على السمك ، وهدأ من روع الفتاة ووعظها مؤنباً ، ثم تابع سيره فوجد في طريقه سمكة كبيرة بارك الله فيها فأخذها وبقي يأكل منها ثلاثة أيام هو وبعض الرعاة واثنان من الجند.

ودخل سمعان صغيراً دير بوزيبوس في «تل عدا» في منطقة أنطاكية وأهدى ما نصيبه من تركة عمه له الى هذا الدير وغيره من الأديرة ، ومكث سمعان في هذا الدير نحواً من عشر سنوات فلما بلغ الثلاثين من عمره طرده رهبان هذا الدير لمبالغته في التقشف في معيشته فلم يشأ أن يدخل ديراً آخر ورحل الى قرية تل نيشي[1] فربط رجله اليمنى بسلسلة طويلة الى حجر كبير ، وكان لا غطاء له وأقام فوق هذا الحجر منذ سنة ٤١٢ الى أن رجاه ميليتيوس الانطاكي فك هذا القيد . فعاش بعد ذلك على عمود في معبد الآلهة في منبج . وهو عمود مرتفع كان يتسلقه رجل مرتين في العام ويمكث مع الآلهة سبعة أيام . ولكن هذه العادة كانت قد اندثرت تماماً قبل عهد سمعان . والراجح أن سمعان كان يجهل كل شيء عن هذه العادة ، بل إن جميع المثقفين في عصره كانوا ينظرون الى فكرة الأعمدة على انها فكرة جديدة ، وقد حاول بعض المستشرقين أن يدعوا أن فكرة عمود منبج كانت مثلاً احتذاه قديسو الأعمدة وعلى رأسهم سمعان . ولكننا لا نستطيع أن نجد أي رابط تاريخي بينهما .

أقام سمعان بعد ذلك ثلاثة أشهر على أحجار باب سور المعبد ثم بنى له عموداً ليقيم فوقه ارتفاعه ست أذرع لكي يمكنه أن يخاطب الناس بسهولة . وكان يتحمل في الإقامة فوقه حرارة الشمس وبرودة الجو ، ومع أنه كان في ذلك نوع من أنواع التعذيب الجثماني إلا أنه كان في نفس الوقت يرفعه عن سكان الأرض . وقد تساءل الناس قديماً عما يقصده سمعان من الإقامة فوق عموده ، وكان بعضهم يعتبر هذا ضرباً من هذه الحماقة ، ولم

(١) وتقع بين أنطاكية وحلب وتبعد مسيرة يوم عن أنطاكية

يتمكن المؤرخون عنه إلاّ أن يقولوا إنه فعل ذلك لأن الله أراده . ولكن الراجح أن هذا الوضع الشاذ لسمعان قد أثر في نفوس الكثيرين ، فإنه لو أقام على الأرض كغيره من الناس لما بلغ هذه الشهرة التي بلغها. وقد بنى سمعان بعد ذلك ثلاثة أعمدة خلال سبعة أعوام كان كل واحد منها أكثر ارتفاعاً من سابقه ، حتى كان ارتفاع آخر عمود بناه ٢٠ متراً . وقد عاش فوق عموده الأخير ثلاثين عاماً دون أن يهبط إلى الأرض ، والظاهر أن تلاميذه كانوا يحملون إليه جميع حاجياته من مأكل ومشرب وملبس إما بواسطة سُلَّم ، أو بواسطة قفة يدليها القديس يضع له فيها تلاميذه ما يحتاج إليه . وفوق هذا العمود كان القديس ينام ، ويصلي ، ويقوم بالتبشير لرد الكثيرين عن الوثنية الى النصرانية ، كما كان يشترك في السياسة الكنسية . وكان يستقبل الناس بعد الظهر فيخطب من يحضر منهم مُسلِّماً ومعزِّياً ومحذِّراً ، ويفض ما يقوم بينهم من منازعات . ويكفي لكي نتصور قوة احتمال سمعان أن نعلم أنه كان يسمع الناس كلامه من فوق هذا الارتفاع الشاهق ، وهذا يدل على أن صحته كانت قوية .

ويذكرون أنه كان لا يخاف السلطان ويروي صاحب سيرته للتدليل على ذلك أن « اسكليبيودوتوس » عامل القيصر تيودوسيوس الثاني كان يحمل أمراً من القيصر بأن يُرَدّ الى اليهود الكنيس الذي أخذه المسيحيون منهم عنوةً وأقاموا فيه شعائرهم . وقد أثار ذلك المسيحيين ، ولم يتخيلوا أن يعطوا الذين صلبوا المسيح أماكن تقام فيها الطقوس المسيحية ، والتجأ الأساقفة الى سمعان فكتب خطاباً شديد اللهجة الى القيصر واضطر القيصر تيودوسيوس الى إلغاء الأمر ، وأرسل الى سمعان يعتذر له كتابةً ، وعزل اسكليبيودتوس صديق الوثنيين واليهود . ولكنا لا نذهب في أمر هذه القصة مذهب صاحب السيرة فقد كان أمر القيصر ينص على أن يُعوَّض اليهود عن الكنيس الذي أخذه المسيحيون من اليهود وأقاموا فيه طقوسهم الدينية . وقد صدر هذا الأمر سنة ٤٢٣م في الوقت الذي لم يكن سمعان قد عُرف فيه بعدُ ، ولعله لم يلعب هذا الدور الذي تحكيه السيرة ، وهذا يدلنا على أن السيرة تريد أن تصوِّر سمعان في صورة صاحب السلطان الكبير والقدر النافذة على حل المشاكل .

وكان سمعان يكاتب العظماء، وينسب إليه في هذه الناحية أنه أرسل في أواخر حياته (سنة ٤٥٧ — ٤٥٨ م) موافقة كتابية الى القيصر ليو يوافق فيها على ما انتهى إليه مجمع كلقدونية الذي قرّر أن للمسيح طبيعتين، وأنه كتب في ذلك المعنى أيضاً الى باسيليوس بطرق أنطاكية؛ ولكن الراجح أن السريان من أصحاب الطبيعة الواحدة — الذين يعدّون سمعان أحد قديسيهم — يجهلون تماماً مشاركته في مشايعة أصحاب مجمع كلقدونية. وينسب إليه أيضاً أنه كان يعارض تعاليم مجمع افزوس الذي عقد سنة ٤٣١ م. وأنه كتب خطاباً في ذلك الى يرحنا الأول بطرق أنطاكية ولذلك يعده النساطرة أحد قديسيهم. ومع أن هذه الرسائل قد وصلتنا في مخطوط يرجع الى حوالي القرن الثامن إلاّ أننا نظن أنها من وضع النساطرة فاننا نشك كثيراً أن سمعان قد فهم مسائل النزاع حول طبيعة المسيح التي عرضت على بساط البحث سواء في مجمع كلقدونية أو في مجمع أفزوس.

وكان لسمعان تأثير كبير على الأميّين الذين يسعون عن أعماله، وبخاصة على البدو من العرب الذين اعتنقوا المسيحية على يديه، ولكن المدد الذي يروونه مبالغ فيه.

وبعد أن عاش سمعان ٦٥ عاماً في حياة الرهبنة، قضى منها ٣٧ سنة فوق الأعمدة، توفي في السبعين من عمره في يوم الأربعاء ٢ سبتمبر سنة ٤٥٩ م ونقلت جثته الى انطاكية ودفن في كنيسة قسطنطين. ويروون أن القيصر ليو أراد أن تُحمل جثته الى القسطنطينية لتدفن هناك ولكن أهل انطاكية لم يقبلوا ذلك، وصلوا على بقائها في مدينتهم لكي تدفع عنهم شر الزلازل.

ويُعرف الموضع الذي بنى سمعان أعمدته فيه الآن باسم قلعة سمعان، وبجانبها دير سمعان وهما بين انطاكية وحلب، ولا يزال عموده الأخير قائماً حتى اليوم، وقد أقيمت حوله خمس كنائس، كما أقيمت كنيسة في المكان الذي عاش فيه سمعان على تل نيشي وصفها إفاجريوس في تاريخه، ولا تزال أنقاضها باقية الى اليوم. وقد نسج كثير من الرهبان على منوال سمعان فعاشوا مثله فوق اعمدة، ولم تبطل هذه العادة إلاّ منذ القرن السادس عشر.

وكانت لسمعان كتابات منتشرة، كما كان يتلقى كثيراً من الرسائل وقد بقيت لنا نماذج منها بالسريانية لعلها صحيحة النسبة اليه، منها نُظُم وتحذيرات كلسية موجهة الى رجال

الدين بمناسبة الزلزال الذي وقع في انطاكية سنة ٤٥٩م وقد بقيت لنا في مخطوط يرجع الى القرن السادس . ورسالة الى الأب يعقوب من كفر رحيما ، الى جانب الرسائل التي مرّ ذكرها من قبل . ولكن هل هذه الكتابات صحيحة النسبة الى سمعان ؟

ليس لدينا ما يدل على أن سمعان كان يعرف القراءة والكتابة ، ويرجح أنه كان أميّـاً وأنه كان يملي خطاباته على أحد تلاميذه ، وأن هذا التلميذ كان يقف على أعلى السلم حيث يقف الاخصاء ، ولهذا فإن ما نشر من رسائل سريانية لسمعان يحتاج الى التريث في الحكم عليها فهي إما محولة عليه ، وإما أدخل فيها كثير من الاضافات على النص الأصلي . وتشتمل المكتبة البريطانية على عدد من الكتب تحمل اسم سمعان : فقد ذكر له أبو البركات بن كبر في قائمته كتاب المقالات الجامعة ويشتمل على ٣٦ ميمراً من أقوال القديس سمعان ، وكتاب أجوبة عن مسائل عددها ٤١ مسألة و ١٥ قولاً . وفي مكتبة الفاتيكان كتاب أعمال القديس سمعان وترجمة حياته في ٢٨٩ صفحة .

ولسمعان سيرة بالسريانية كتبها مجهول إذ يظهر أن العادة كانت أن يتقرب التلاميذ الى الله بكتابة سير أساتذتهم من القديسين تخليداً لأعمالهم ، والغالب أنهم كانوا يعتقدون أن عدم ذكر اسم الكاتب فيه شيء من إنكار الذات وذلك يزيد من ثوابه . أو لعل كتاب هذه السير رأوا أن في نسبتها الى أنفسهم — وهم من غير الكتاب المبرزين — حطا لقيمة السيرة ، ومضيعة للفائدة التي يرمون إليها من كتابتها وهي تمجيد المترجم لهم وتعظيمهم . وتنسب هذه السيرة الى تيودوريت الكاتب والمؤرخ الكنسي أسقف قورا في شمال سوريا وهو معاصر لسمعان . وقد عرفه في حياته ومات قبل سمعان . وكلها تقريظ لهذا القديس ، وسرد لمعجزات وقصص تنسب اليه لا يكاد يقبلها العقل من ذلك قوله إنه إذا ذكر اسم سمعان توقف الغزال والجدي السريع عن الجري بقوته السحرية حتى يمكن صيدها . وهناك سيرة أخرى أطول من السابقة ، كتبت بعد موت سمعان بمدة قصيرة حوالي سنة ٤٧٢م وهي تكمل السيرة السابقة ، وتقوم على المبالغات أيضاً ، ولكنها على أي حال تصور لنا محيط التفكير في البيئة التي نشأت فيها . وفي نهاية هذه السيرة خطاب وجهه كوسماس قسيس قرية بانير الى سمعان العمودي كتبه على لسان رعاياه يمدونه فيه

بطاعة أوامره واتباع نظامه . وقد استنتج السمعاني من وجود هذا الخطاب في آخر السيرة أن كوسماس هذا هو مؤلف هذه السيرة ، مع عدم وجود شيء يشير الى ذلك بل على العكس هناك ما يمكن أن يشكك في هذا الزعم فقد جاء في خاتمة الكتاب أن هذا المخطوط قد نسخ لسمعان بن ابولون، وبر حاطر بن أذان في ١٧ ابريل سنة ٥٢٧ م لبناء انطاكية أي سنة (٤٧٣ م) . أي بعد وفاة سمعان بسنوات قلائل ، ولهذا فقد ذكر إفاجريوس في الجزء الاول من كتابه تاريخ الكنيسة أن هناك سيرة سريانية في دير تل نيشى لرجل العجائب يثير أنها من عمل سمعان بن أبولون ، وبر حاطر بن أذان . وقد أخطأ السمعاني في فهم هذه النبذة الختامية أيضاً فافترض أن هذه السيرة قد ألفت بناء على طلب هذين الرجلين . وقد لقيت هذه السيرة رواجاً ، وتدل العروض على أنه في مثل هذه الكتب الشعبية تظهر اختلافات وزيادات . وقد استعان إفاجريوس بهذه السيرة .

ويوجد لسمعان — الى جانب هاتين السيرتين — سيرة أخرى باليونانية يقال إن كاتبها هو أنطونيوس تلميذ سمعان ، وفيها مخاطرات تنم عن أن هذه ليست بالقديمة كما أراد لها كاتبها — أما أخبار سمعان المتأخرة فليست لها أية قيمة خاصة .

وقد نظم يعقوب السروجي قصيدة طويلة عدد فيها مناقب سمعان العمودي .

## اسحاق الانطاكي

كان اسحاق من نجوم الأدب السرياني ، وكان يعرف عادة باسم عظيم أنطاكية واسحاق الكبير ، والسوري ، والناسك . وليس لدينا عن مطلع حياته إلا القليل ، ومع ذلك فان هذا القليل مضطرب : فهو من ضواحي آمد (ديار بكر) ذهب الى الرها في حداثته حيث تلقى العلم على زنوبيوس تلميذ افريم فيما يقول برشاق الذي جمع شعره في القرن الثاني عشر . أو على افريم نفسه فيما يقول يعقوب الرهاوي الذي كان يشير اليه عادة باسم اسحاق تلميذ افريم وتبعه في هذه التسمية كثير من الكتاب . فقد ذكر يعقوب الرهاوي في ملاحظة نقلها عنه الأب مارتين أنه يجب التمييز بين ثلاثة يسمى كل منهم باسم اسحاق ، وقد خلط الناس بينهم جميعاً .

الأول : اسحاق الانطاكي تلميذ افريم الذي ذهب الى روما لكي يرى الكابيتول ،

والثاني : اسحاق الرُّهاوي الذي ظهر في أيام زينون (في أواخر القرن الخامس) والذي استوطن انطاكية .

والثالث : اسحاق الرُّهاوي أيضاً الذي ظهر في أوائل القرن السادس

والأمر الذي لا شك فيه أن يعقوب الرُّهاوي لم يدقق كثيراً عندما وصف اسحاق الانطاكي بأنه تلميذ افريم ، فان افريم قد توفي في يونيو سنة ٣٧٣ م ، ويجب لكي يتلقى اسحاق عليه العلم أن يكون قد وُلد في أواخر الربع الثاني أو أوائل الربع الثالث من القرن الرابع على الأكثر . فاذا علمنا بعد ذلك أن أكثر الذين بحثوا في أدب السريان يكادون يتفقون على ما رواه جنّاديوس من أن القصيدة التي قيلت عن تخريب الزلازل لانطاكية سنة ٤٥٩م هي من نظم اسحاق الانطاكي ، وجب أن يكون اسحاق قد عاش حتى ليشرف على قرن من الزمان بما يقرب من عشر سنوات ، وهي سن لا يعقل أن يختصب في نهايتها خيال شاعر بقصيدة كالتي نظمها اسحاق عن تخريب أنطاكية . وعلى ذلك فانه لا يعقل أن يكون اسحاق الأنطاكي هو تلميذ افريم الذي يتردد اسمه في سيرة افريم . بل إنه من المشكوك فيه كثيراً أن يكون اسحاق الانطاكي قد وُلد قبل وفاة افريم .

انتقل اسحاق من الرُّها الى انطاكية . والظاهر أنه قد طوّف في حداثته الى أبعد مما ذهب إليه كثير من مواطنيه إذ يروي زكريا البليغ في تاريخه أنه زار روما ومدناً أخرى . ويؤكد ذلك ما رواه ديونسيوس التلمحري في التاريخ المنسوب اليه أنه نظم قصيدة عن الألعاب التي أقيمت في روما سنة ٤٠٤م احتفالاً بالعيد المئوي ، وقصيدة أخرى عن استيلاء ألاريك ملك القوط على روما وتخريبها سنة ٤١٠ م

ولعلّ اسحاق قد وجد في روما من المتعة ما حبّب إليه أن يُطيل الوقوف بها ، إذ أنه لابدّ أن يكون قد أمضى في روما هذا الوقت فيما بين سنتي ٤٠٤م — تاريخ العيد المئوي — و٤١٠ م تاريخ استيلاء ألاريك على روما . أما العيد المئوي فالظاهر أنهم كانوا يحتفلون به عند بداية جيل جديد على اعتبار أن بداية الجيل هو نهاية جيل سابق بما مرّ فيه من شرور وكوارث ، وكان الاعتقاد السائد حينئذٍ أن الشرور واللعنات لا تتخطى عتبة قرن جديد ، ولهذا كان الناس يفرحون بابتداء كل قرن ، بل لقد كانوا إذا نزلت بهم محنة نادوا أحياناً ببدء جيل جديد اعتقاداً منهم بأن في طيّ صفحات الجيل القديم طيّاً لهذه المحنة التي نزلت بهم . وكان الاحتفال بهذا العيد احتفالاً دينياً له طقوسه وشعائره .

وقد احتفل في عصر الجمهورية الرومانية بمثل هذا النوع من أعياد التكفير سنة ٢٤٩ ق . م ، ١٤٦ ق . م . وكان المعنى الذي يرمز له هذا العيد هو أن القيصر أعطى

روما عهداً جديداً . ثمّ تعطّل الاحتفال بهذه الأعياد في عصر الثورة الى أن أعاد أغسطس قيصر الاحتفال به من وجهة نظر رومانية شرقية ، هي الاحتفال بتجديد العالم بعد أن حطته الثورة . وقد احتفل به بعده دومتيان سنة ٨٩ م . وسبطيميوس سويروس سنة ٢٠٤ م . وهناك أعياد مئوية أخرى ترجع الى تأسيس روما . وقد أدخل البابا بونيفاز الثامن هذه الأعياد في الكنيسة سنة ١٣٠٠ م . ولا تزال قائمة الى اليوم في أعياد اليوبيل .

وقد عاد إسحاق من روما عن طريق القسطنطينية ، وفيها قبض عليه ولكنا لا نعرف سبب ذلك . ويقول يعقوب إنه صار قساً في مدينته آمد ، وقال جناديوس إنه رآه قساً لكنيسة أنطاكية . ولا يُعرف تاريخ وفاته على وجه التحقيق ، غير أن آخر ما يُعرف من كتاباته هو قصيدته في وصف ما أحدثه الزلزال الذي وقع في أنطاكية في ٤٥٩ م . والراجح أنه توفي قبل سنة ٤٩١م . ولهذا يرجح الباحثون أنه توفي سنة ٤٦٠ م .

وكان اسحاق شاعراً منتجاً أخصب أيام تيودوسيوس الثاني (٤٠٨ — ٤٥٠) وكتاباته كثيرة متعددة النواحي وكانت كلها على وزن المقاطع السبعة ، جمع أكثرها البطرك اليعقوبي « يوحنا بن شوشان » في سفر واحد وعلق عليها ، بدأ بذلك في شيخوخته ، ومات سنة ١٠٧٣ قبل أن يتم جمعها . وقد أورد السمعاني في المكتبة الشرقية قائمة تشتمل على أكثر من مائة قصيدة من شعر اسحاق مبثوثة في المخطوطات المحفوظة بمكتبة الفاتيكان. وقد نشر « بيكل » ٣٧ منظومة من شعره ، ونشر « بدجان » ٢٤ قصيدة ، ونشر شابو والقرداحي واغناطيوس افرام الرحماني وغيرهم قسماً من الجزء الباقي من منظوماته ؛ ومن هذه القصائد واحدة عن « حب الدرس » ، ١٠٠ ميمر عن الصلب ، والسامرية على بئر يعقوب ، واضطهاد الصديقين ، ومقطوعات من ميامر الصلوات ، وفي الرد على اليهود ، وعن الامرات وقد أدخلها أصحاب الطبيعة الواحدة في طقوسهم الجنائزية . وله عدد من القصائد الطويلة المسرفة في الطول منها قصيدة عن الندم تشتمل على ١٩٢٩ بيتاً ، وثانية عن ببغاء صاحت في شوارع انطاكية « قدوس الله » وعدد أبياتها ٢١٣٧ بيتاً ولكن طولها يدعو الى السأم.

ولاسحاق بعض قصائد وُضعت خطأً تحت اسم إفريم نشرها المستشرق « لامي » في كتابه عن إفريم منها قصيدة في « معارضة السحرة » وأخرى عن « الدينونة » وعلى العكس تنسب اليه قصيدة نشرها أوفربك ( Overbeck ) عن صلب المسيح وهي من القطع التي وردت في قائمة السمعاني ولكن بيكل يميل الى نسبتها الى بالاي أو فوريللونا .

وبعض شعر اسحاق ممتع الى حدّ ما لانه يكشف عن عقيدة المؤلف الدينية ، فهو

يُعرِّض فيه بأخطاء نسطوريوس وأوطيخي . ولكن هذا النوع قليل في شعره ، فإنه لم يوجّه اليه عناية كبيرة ، ولكنه وجّه همّه الى الحضّ على التأدب ، وعيشة الصلاح ، ولوم المفسدين ، وتعنيف من لا خلاق لهم ، فقد كان يشعر في نفسه بأنه واعظ أخلاقي ، وأن شيمته أن يخاطب الناس بوجه عام ورجال الدين بوجه خاص على خطيئتهم ، فوصف لهم حركاتهم ، وصوّر لهم طباعهم فجاءت صوره لاذعة أحياناً .

وقد سما اسحاق بالشعر السرياني ، فمع أن أوزان الشعر قد استعصت عليه ، فلم يتنفس له إلاّ قياد وزن المقاطع السبعة — على عكس ما كان عليه إفريم فقد لعب إفريم بالأوزان الشعرية جميعها — إلاّ أن إسحاق قد فاق إفريم في سيطرته على اللغة ، ومحاكاته لأسلوب الكتاب المقدس وطرافة تعبيراته طرافة لم يسبق اليها .

ولبعض قصائد اسحاق شيء من القيمة التاريخية كقصيدته عن الصيام التي يحتمل أن تكون قد نظمت بعد سنة ٤٢٠ مباشرة . والقصيدتين اللتين كتبتا عن فتح العرب لمدينة بيت حور حوالي سنة ٤٥٧ ، وقصيدتيه في التنديد عن يلجأون الى العرّافين .

والشعر الذي ينسب الى اسحاق الانطاكي كثير ولا يمكن أن نحرز كله صحيح النسبة اليه ، ولكننا نستطيع أن نقول إن اسحاق قد نظم الجزء الأكبر من المداريش التي تنسب اليه ، وان شهرته هي التي كانت سبباً في أن يضاف اليه أعمال جميع من تسموا باسمه . ونستطيع أن نتخذ من أسلوب الشعر في القصائد الصحيحة النسب اليه مقياساً نتبين منه القصائد التي ليست له .

ومع أن نظم اسحاق كان كثيراً إلاّ أن نثره — فيما يظهر — كان قليلاً وتنسب اليه مجموعة من الحِكَم ، كما ينسب اليه خطأ بعض كتابات من النسك ، ومرجع هذا الخطأ ما قام من لبس بين اسحاق الأنطاكي واسحاق النينوي إذ يجب أن تنسب جميع كتابات النسك الى اسحق النينوي .

وتشتمل المكتبة العربية على عدد من الكتب تحمل إسم اسحاق الانطاكي فقد ترجم الشماس عبد الله بن الفضل الانطاكي ٤٠ ميمراً و ١٥ نصاً في كتاب [illegible] الميامر والمواعظ في السيرة النسكية ، ذكره أبو البركات في قائمته وميمر لعيد بشارة العذراء نشر في مجلة المشرق سنة ١٩١٤ . ومسائل سأل فيها القديس عمانا العمودي أحد الحكماء القدماء في مبدأ أمره القديس المعلم النفيس اسحاق الانطاكي وهي خمسة أسئلة في الأمور الروحية .